باندونج والسلام العالمي



عبد الرحمن الشرقاوي

إهـــداء

إلى الذين لم يدركوا بعد أن الدفاع عن السلام العالمي، ضرورةتنبثق من تطورنا ومن ضمير العصر، ومـسئولية يفرضـها شرفهم الإنساني...

... أهدي هذه الكلمات تعبيرا عن أمل كل بسطاء النــاس.. فــي سلام دائم.

عبد الرحمن الشرقاوي

[redacted]

انعقد مؤتمر باندونج بتاريخ ١٨ أبريل ١٩٥٥

وأصدر قراراته التاريخية بتاريخ ٢٤ أبريل ١٩٥٥

الفصل الأول

آسيا، وإفريقيا.. عالم بأسره ما يكاد يذكره المتحضرون في أوروبا وأمريكا حتى يخفق القلب فجأة، وتفيض النفس بذكريات الحضارة القديمة في مصر والهند والصين!. وأنا أعني المتحضرين في أوروبا وأمريكا.. لا تجار الرقيق، أو الذين يبحثون عن لحم لنار المدافع!

أنا أعني الإنسان المتحضر الذي يبكي لمأساة جان دارك، ومارا، وروبسبير، وتثير كبرياءه بسالة فيون "وفولتير؟" وهيجو، لا الذي يختفي تحت راية مثلثة الألوان ليذبح النساء والأطفال في شمال إفريقيا..

أنا أعني الإنسان المتحضر الذي يضيء في نفسه لهب "شكسبير، ودكنز، وميلتني".. لا الذي يطعن ظهور الناس في كينيا والملايو وقبرص والأردن.

أنا أعني الإنسان المتحضر الذي يغمر قلبه جلال من ذكريات لينكولن وواشنطن وفرانكلين ومونرو ولنجفلو ومارك توين.. لا الذي يجعل من لينكولن ماركة عربة تلمع في الطريق بأكثر مما يلمع لينكولن، ويحول فرانكلين إلى مشروع لسحق الثقافات الوطنية، ويقلب مونرو إلى موضة في هز الأفخاذ، ويحرق آثار مارك توين!

أنا أعني الإنسان الذي ينبض فيه مع الدم خشوع لقداسة موزار وجيته ورومان رولان وهايني وشيلي وبيتهوفن ومايكل أنجلو.. الإنسان الذي يرعشه وهج من جسارة بيرون.. حين كانت اليونان ما تزال أرض الآلهة والتراث والحرية والبطولات.. وقبل أن تكون قاعدة خلف البلقان!..

* * *

هذا الإنسان المتحضر في أوروبا وأمريكا إنما يشمئز اليوم من بعض مواطنيه الذين ما برحوا يرون في آسيا وإفريقيا مزارع تنتج الطعام والذهب والعبيد.! إنه يتقزز من ذكر رجال الدين الذين استخرجوا من الكتاب المقدس نصوصا تثبت أن السود والصفر هم أولاد "حام": الابن العاق لنوح عليه السلام! وأنه من أجل ذلك كان على أولاد سام أن يثأروا لجدهم الأكبر نوح من عقوق حام.. وهكذا كتب على أولاد حام أن يستعبدوا في الأرض!..

الرجل المتحضر في أوروبا وأمريكا (بلاد سام) يتقزز من ذكريات رجال الدين، هؤلاء الذين دفعوا الملكة إليزابيث في عصر شكسبير إلى أن تحمي القراصنة، وتقيم أسواقًا عالمية لتجارة الرقيق بعد ثورة إخناتون وبعد عصر فرجيل بعدة قرون.

ألم يكن رجال الدين هؤلاء هم حفدة الذين أفتوا بحرق، جان دارك..؟!

ولئن كان بعض أبناء "سام" في عصرنا هذا يحاولون إحياء الفتوى الدينية القديمة، فإن المتحضرين من مواطنيهم ليشمئزون من هذا كله.. ذلك أن الإنسان المتحضر يدرك أنه الابن

الطبيعي للحضارة الإغريقية وللحضارات الأولى التي انبثقت على الأنهار الكبرى في مصر والهند والصين مع أول شعاع من فجر التاريخ.

والإنسان المتحضر في أوروبا وأمريكا يدرك أنه مدين لهذه الحضارات الأولى التي خلفت في العلوم والفنون والحكمة كل التراث الضخم الذي أعطى لسلالات من البشر أول مفاتيح الغيب، وأضاء العقول جيلاً بعد جيل ليفهم الناس كثيرا من أسرار المجهول، وليعرفوا دوران الشمس واختلاف الليل والنهار، وليعلموا عدد السنين والكتاب!..

وتاريخ العلم ـ كتاريخ الفلسفة والفن ـ لا يموت..

فالذي اكتشف النار مهد الطريق من آلاف من الأجيال للذين فتتوا الذرة.. ولم يكن من الممكن أن تجري السفن في البحر كالأعلام إلا عبر تجارب طويلة بدأت بمغامرة ـ وربما باستشهاد ـ فلاح مصري أو صيني أو هندي في عباب أحد الأنهار الكبرى على لوح من خشب.. والفن ـ أجمل ما في حضارتنا المعاصرة ـ هو بدوره ثمرة جهود فنانين سجلوا بصدق رائع صراع شهداء لم نعرفهم مع كل عناصر الطبيعة والخفاء.

الإنسان المتحضر الذي يفخر بأنه إنسان، يعرف كل هذا..

وحين أقول الإنسان المتحضر فإنما أفكر في أي رجل أو امرأة من بسطاء الناس الذين يحبون عصرنا ويؤمنون بالحضارة ويعيشون سعداء بها، ويريدون أن يمارسوا كل ما تقدمه لهم.. هؤلاء جميعا يحترمون آسيا وإفريقيا.. مهد الحضارات!

أما الذين يدافعون عن حقوق الإنسان المضطهد المعذب المستقل.. أما الذين يدافعون عن الخبز والزهر والأطفال والحب والعمل وشرف النبضات.. أما الذين يؤمنون بالإنسان الأسود والأصفر والأبيض على السواء.. فهم يدركون أن تحريرهم هم أنفسهم من القلق والضيق والهوان والفزع والبطالة؛ إنما هو في تحرير شعوب آسيا وإفريقيا من الجوع والعبودية والمرض والظلمات.

هؤلاء لا يؤمنون بآسيا وإفريقيا كمهد للحضارات القديمة فحسب، وإنما أيضا بحق الشعوب في تقرير مصيرها.. بحق الإنسان في أن يضع يده على مستقبله ويؤمنون بعالم أفضل تصنعه طاقات ملايين من البشر عندما تتعاون في ظروف متكافئة من العمل والجزاء..

وهؤلاء الأصدقاء حين يوجهون الضربات إلى مستغليهم، في بلادهم، فإنما هم في الحق يقدمون إلى شعوبنا الآسيوية عارفة لا تنسى.. ذلك أن مستغليهم هناك.. هم الذين يقومون في بلادنا بدور الجلادين!!

* * *

والحضارات القديمة التي ازدهرت في آسيا وإفريقيا لم تنتعش منفصلة عن بعضها على قلة الزاد وبعد السفر؛ بل أثرت في بعضها وتأثرت ببعضها.. والسفن والقوافل التي كانت تعبر المجاهل الشاسعة بين الصين والهند ومصر، كانت تحمل مع البضائع ألوانًا من المعرفة والخبرة والثقافة.. ويروي الطبري والمسعودي أخبارا عن نشاط التجارة بين الصين وشواطئ اليمن والعراق.. قبل أن تكون العراق مرتعا "لعدالة" نوري السعيد، وقبل أن تصبح "الحبانية" قاعدة عسكرية أجنبية!

وتذكر الأخبار أن البصرة كانت أكبر سوق دولية للتجارة والفنون والآداب.. وكانت تسيل الحكمة فيها من قبل أن تسيل أنابيب البترول مترعة بدم الشعب العراقي..!

وكان أجدادنا يسمون الملك الصيني بملك الرعاية والسياسية وإتقان الصنعة وكانوا يسمون الملك الهندي بملك الحكمة وملك الفيلة.

وعلى كثرة ما مر بمصر والهند والصين والدول العربية من أحداث، فلم تنقطع الصلة أبدا بين هذه البلاد... وقامت مصر والدولة العربية بدورها التاريخي في تلقيح الحضارات.. ولتجار الشام والسواحل المصرية دور معروف بين الشرق واليونان.. والطب البشري، والمغامرة في الفردوس وأحلام العدالة نقلها إلى أوروبا عرب من بغداد أو أشبيلية.. ولم تكن أبواب بيزنطة بأضيق من أبواب روما..!

على أن الحلف التركي العراقي، لم يعقد تمجيدا لذكرى ثقافة بيزنطة، أو بغداد.. القديمة!!

* * *

وعندما زحف برابرة الحضارة الحديثة على آسيا وإفريقيا في الأرض ويسرقون الناس بغير حساب، زعموا أنهم يريدون أن يعمروا الأرض الخراب، وأنهم يريدون أن يضيئوها بنور العقل الأوربي..

وعلى الرغم من أن أدبهم حاول أن يذيع على آسيا وإفريقيا أن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا.. على الرغم من هذا كله، فقد جاء زمن عقدت فيه مواثيق تنظيم الاستعمار بين اليابان في أقصى الشرق وبين محور إيطاليا، وألمانيا الهتلرية في أقصى الغرب!

وحارب الغرب بعضه، وذبح الرجل الأبيض أخاه أكثر من مرة مراحل النزاع على الممتلكات والأسواق في آسيا وإفريقيا.. لا للخلاف القديم بين "العم سام" و"العم حام".. هذه المرة!

وبقدر ما ساعد التقاء الحضارات القديمة إنسان العصور الأولى في سعيه ضد القدر والمصير، فقد أشعلت المأساة الحديثة المشتركة جذوة كفاح وطني مشترك لا يهدأ.. ورفعت راية الإنسان الملون.. ضد إله العصر الجديد: الاستعمار!!

وهكذا اشتعلت الثورات الوطنية من أواخر القرن الماضي.. وظلت الثورات الوطنية مشتعلة جيلاً بعد جيل.. وسقط شهداء من مصر والهند والصين سنة ٩١٩١ وسنة ١٢٩١.. في وقت واحد.. وسقط شهداء ١٢ فبراير ٦٤٩١ في مصر والهند على السواء.. وسالت طوال هذا القرن دماء هنا وهناك من السود والصفر.. والبيض أيضا!

ولم يعد اللون الحاسم هو لون الجلد البشري بالضبط.. وإنما لون العملة المالية أساسا..!

ومهما تختلف ألوان الضحايا فالدماء كلها حمراء.. الدماء كلها حمراء.. حمراء بلون الشفق.. لا.. حمراء كاللهب!.. كالفجر!

وكان فجرا جديدا حقًا..

فجر يشرق بإرادة الشعوب.

وأعلن استقلال سوريا ولبنان.. وأعلن استقلال الهند، وأعلن استقلال إندونيسيا واعترفت به جامعة الدول العربية سنة ٦٤٩١.

وسارت مصر خطوات في طريق السيادة.

وتوالى الزحف المظفر لقوات التحرير في الصين والفيتنام والملايو، وبورما..

قديما كان الإنسان في آسيا وإفريقيا يعرف أن الوجود صراع بين قوتين: الإنسان والطبيعة.. ولكن الرجل الأبيض حمل له قيما جديدة.. فجعل الطبيعة نفسها ميدان الصراع بين صاحب الوطن وبين غريب نازح من بلاد بعيدة.. بين المواطنين الأصليين، وبين الرجل الأبيض!!

وكلما نجح أصحاب الوطن في تطهير الوطن من ثقل الأحذية الأجنبية الغليظة.. عاد أصحاب الأحذية الأجنبية يبحثون عن شكل جديد للاحتفاظ بالسيطرة والممتلكات ومنابع مواد الخام ومصادر العراق الإنساني الرخيص الثمن!

والرجل الأبيض.. ليس هو الإنسان المتحضر في أوروبا وأمريكا، ولكنه بقية من القرصان القديم الذي اقتحم آسيا وإفريقيا يسرق الأطفال والنساء والكنوز في عصور غابرة تحت راية تخفق فيها جمجمة وعظام بشرية.

ويوما بعد يوم، اختفت الجماجم من رايات القراصنة ليحل مكانها شعار "الرجل الأبيض"..

ولم يعد القرصان يخطف ثم يضرب في البحر.. ولكنه أقام يضرب في جوف الأرض، وانتقلت العظام والجماجم من رايته لتصبح حقائق حية في واقع المعذبين..

والقراصنة المعاصرون ما زالوا يتمسكون بشعار الرجل الأبيض إلى اليوم.. حتى وهم يحاربون آخرين لهم نفس لون الجلد.. الأبيض!.. وكل ما في الأمر أن قراصنة الزمن الحديث أغنوا قاموس الألوان: فابتدعوا حكاية الرجل الأحمر..

والأحمر هو ـ كالأصفر، والأسود ـ ليس بالأبيض على أية حال!.ومن أجل هذا، فيجب أن تحشد الآلات المدمرة لتحصد الرجل الأحمر ـ كالأسود والأصفر ـ قبل أن يسمم منابع الثروة في طريق القراصنة.

وهكذا لم يكد السود والصفر والملونون في آسيا وإفريقيا يحوزون انتصاراتهم الوطنية ضد جشع القراصنة المعاصرين، حتى اندفعت أجهزة الدعاية الواسعة التي يملكونها تتحدث عن خطر أحمر... وتطالب الدول المتحررة بأن تتفق معها ـ على الجنون ـ فتسلم لها أرضها لتقيم القواعد العسكرية، وتدخل معها في مواثيق حربية.. للحماية من الخطر الأحمر!.

وهذا هو أحدث شكل ابتدعه القراصنة المعاصرون!

الجمجمة والعظام البشرية لم تعد تصلح للراية الخفاقة.. وكذلك لم يعد الاحتلال العسكري والحكم الأجنبي المباشر بالشكل الصالح للاستعمار، في عصر أينشتين وأهرنبرج وهيوارد فاست وشابلن وأراجون.. وجوليو كوري!

* * *

وهكذا بدأت تغزو الأسواق ـ مع تسليات المختار وصدر جان راسل واللبان الأمريكاني ــ فكرة الدفاع المشترك، والمواثيق العسكرية، ونظريات سد الفراغ، والضرورة الاستراتيجية، وحلف الشرق الأوسط، وحلف البحر الأبيض.

وعلى الرغم من المؤامرات الواسعة التي نصبت فخاخها في الشرق العربي وفي الشرق الأقصى، فقد فشلت الخديعة التي تبخترت وسط فضائلنا فجأة كغانيات روما القديمة!.لم تستطع الخديعة المثقلة بالمتاع والجواهر والنعومة والفتنة.. أن تجذب أحدا إلى فراش التبذل والعار..!

واستلهمت شعوبنا صدق إحساسها الوطني، وتقاليدها الحرة النبيلة، ووضعت يدها على الطريق الواسع إلى المستقبل.. ونبذت كل هذه المشروعات واحدا بعد واحد.. وهكذا سقط مشروع صدقي ـ بيفن في مصر ومشروع جبر ـ بيفن في العراق.. ثم مشروع سد الفراغ ثم مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط..

وعلى الرغم من المأساة التي سيظل يخجل منها ضمير حضارتنا.. على الرغم من أن دولة عربية شطبت بأسرها من خريطة العالم، و ثُبد شعب كامل في الصحراء.. على الرغم من كل ما حدث في فلسطين، وعلى الرغم من محاولة إلصاق دولة جديدة على الخريطة بدلاً من فلسطين.. على الرغم من هذا كله فقد ظلت القاعدة العسكرية الجديدة التي تحمل اسم إسرائيل، مجرد حربة سامة مشرعة في وجه ضمير العصر، تعذب الذين شهروها، أضعاف ما ترهب الذين سددت إلى ظهورهم!

لم تفلح الخديعة في أن تفرض هذه القاعدة العسكرية على شعوبنا.. ولم تفلح في أن تحشد اللاجئين في جيش ينتحر تحت راية أحد الأحلاف الأجنبية!.. ولم تفلح الخديعة في أن تغزو سوقًا واحدا بمنتجات إسرائيل.. ولم تفلح في حمل أي من الدول العربية المناضلة على الإذعان..

ولم تفلح حتى في إثارة العصبية العنصرية ضد اليهود لتختفي هي وراء هذه العصبية.. فكل رجل وامرأة في البلاد العربية يعرف أن الصهيونية شيء واليهود شيء آخر.. وأن الاستعمار هو الذي صنع مأساة فلسطين، وأن الاستعمار هو الذي يغذي عدوان إسرائيل على حدود البلاد العربية، وأن الاستعمار هو الذي لا يريد تسوية المشكلة على أساس إعادة اللاجئين وردهم إلى ديارهم وتعويضهم عما فقدوا... وأن الاستعمار لا يريد تسوية سلمية للمشكلة على أساس قرار الأمم المتحدة، وإنما يشعل النار، لينفرد هو بتسوية المشكلة لحسابه!.

ولئن كانت الخديعة قد استعانت ببعض الدوائر الحاكمة في بلاد آسيوية وإفريقية، وعقدت معها بالفعل أحلافًا عسكرية.. فهذا كله لا غناء فيه.. لأن العبرة بالشعوب التي تملك الإرادة، وتملك الحركة.. والتي تقرر مصيرها في نهاية الأمر!

وأبطال حلف جنوب شرق آسيا لا يزعمون أنهم يملكون البخور الذي يخدرون به شعوبهم ويسوقونها إلى الهوان والمجزرة مغمضة العينين.. والسيد نوري السيد لا يزعم لنفسه - فيما أعتقد - أنه ورث سحر بابل، وأنه يستطيع أن يحول أرض ابن سينا إلى مسوخ من النحاس.. تتبع إشارته كما تقول الحكاية المشهورة في ألف ليلة!

لا.. إنه لا يستطيع.. بكل سحره البابلي!!

والذين أشرفوا على هذه الأحلاف يدركون مقاومة شعوبنا، منذ ٦٤٩١.. ويذكرون معارك بغداد ٨٤٩١ ضد صالح جبر ونوري السعيد.. ودور الوسيط الذي تقوم به الدوائر الحاكمة في تركيا بين الاستعمار وشعوبنا لعقد صلح يفرضونه بين إسرائيل والدول العربية!..

إن دور الوسيط هذا الذي تقوم به الدوائر الحاكمة في تركيا هو دور تعرفه شعوبنا وتحتقره وتلعنه.. وهو دور قديم.. قدم المهنة في التاريخ وقدم الجواري التركيات في المهنة!!

والذين يوسطون تركيا ويرشحونها بجدارة للقيام بهذا الدور، يذكرون ما حدث سنة ١٥٩١ عندما تقدم سفراء أمريكا وإنجلترا وفرنسا - وفي يدهم سفير تركيا - بمذكرة مشتركة إلى مصر وإلى كل الدول العربية، مطالبين بإنشاء قيادة للشرق الأوسط يشتركون هم فيها.! الذين يوسطون تركيا لم ينسوا رد شعوبنا!

لم ينسوا أن حكوماتنا رفضت بحث هذه المذكرة، ولعلهم يذكرون أن معاهدة سنة ٦٣٩١ ألغيت ردا على دخول تركيا في حلف الأطلنطي وردا على مظاهرة زعماء الحلف ومعهم تركيا في الضغط على مصر سنة ١٥٩١.

ولعلهم لم ينسوا أيضا صدى البيان الثلاثي الذي صدر سنة ١٥٩١ من فرنسا وإنجلترا وأمريكا لكفالة تثبيت الأوضاع في الشرق الأوسط؛ وهي الأوضاع التي كانت تعتمد على فاروق وجلوب ـ الجنرال المرحوم ـ وعلى تشريد أهل فلسطين وعلى الاستفزازات الصهيونية المتوالية والعدوان المتكرر على الحدود.

* * *

ولم تكن شعوبنا العربية تقف وحدها ضد المناورات وأساليب الضغط، ولم تواجه شعوب آسيا وإفريقيا الفظائع الوحشية.. منعزلة عن الرأي العام العالمي..

بل وجدت شعوبنا الآسيوية والإفريقية أكبر عون لها في قرارات مجلس السلام العالمي.. الذي يعكس رغبة بسطاء الناس في التعايش السلمي بين مختلف النظم، ومجلس السلام هذا الذي يمثل قوة الرأي العام العالمي على اختلاف المذاهب والميول والآراء بقدر ما تمثل الأمم المتحدة قوة الحكومات المشتركة.. كان معنا دائما..

ففي سنة ١٥٩١ أصدر قرارات حيا فيها كفاح الشعب المصري وشعوب شمال إفريقيا، واعتبر العدوان الأجنبي على أرض مصر تهديدا للسلام العالمي، وطالب بانسحاب القوات الأجنبية على الفور عن أرض مصر، وندد بمحاولة فرض حلف عسكري على مصر..

على أن محاولات فرض الأحلاف على بلادنا الآسيوية والإفريقية لم تهدأ أبدا بعد سنة ١٥٩١ وفي ٧ أغسطس سنة ٢٥ تقدمت إنجلترا بمشروع جديد أسمته تعاون القوات العسكرية في الشرق الأوسط.. أي تجميع جيوش المنطقة تحت قيادة إنجليزية..

وفشل المشروع!

وفي صيف سنة ٢٥٩١ تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية بمشروع قيادة موحدة.. وطار مستر دالاس ليقنع الحكومات العربية وحكومات الشرق الأوسط بهذا المشروع.

وفشل أيضا!

وأخيرا اهتدت الدوائر الحاكمة في أمريكا وإنجلترا إلى ابتداع مشروع جديد..

وكالعادة غمزت للدوائر الحاكمة في تركيا لتقوم بدورها المعروف... دور الوسيط..!

وكان المشروع الجديد هو محالفات ثنائية..

وشهدت شعوبنا إذ ذاك حلف تركيا ـ الباكستان، ثم اتفاق العراق أمريكا الذي تسلم بموجبه فاضل الجمالي أسلحة من أمريكا وأعطاها أرض الوطن وحق الإشراف على جيش البلاد، وفتح عاصمة الرشيد ومهد الشيعة للشقراوات الفاتنات!

وشجع هذا النجاح دوائر صناع السلاح في الدول الغربية، وابتدعت هذه الدوائر مشروع حلف بين الدول العربية مجتمعة وبين تركيا.

ولكن مصر رفضت هذا المشروع سنة ١٩٥٤ وأيدتها المملكة العربية السعودية وسوريا.. ولم تكد تعقد بين مصر وإنجلترا اتفاقية الجلاء حتى عادت الدوائر الحاكمة في أمريكا تحلم بأن تضم العرب إلى تركيا في حلف واحد.

غير أن مصر رفضت، كما رفضت كل المشروعات الاستعمارية من قبل.وإذ ذاك اتجهت الدائر الغربية صانعة الأحلاف العسكرية إلى العراق وفي يوم شاحب كيوم أن صرع الحسين، قعد حلف تركيا ـ العراق.. وكانت محاولة شاذة، مفاجئة لتمزيق الجامعة العربية التي اتفقت دولها على ألا تدخل في حلف عسكري أجنبي.

كانت مفاجأة شاذة ـ سبقتها إجراءات شاذة: فسحبت الجنسية من كل الوطنيين الشرفاء ونُفي أعداء المحالفات العسكرية من أرض الوطن، وامتلأت بهم أقبية السجون التي لعب فيها أحرار الفكر العربي منذ قرون.

أكان نوري السعيد وفاضل جمالي وأصحابهم، بشذوذهم هذا يدافعون أيضا عن حضارة

بغداد!! ربما كانوا يحيون تقاليد هولاكو وتيمور لنك أو لعلهم استطاعوا أن يزعموا للناس هذه

المرة أنهم ورثة قصور بغداد.. وتقاليد الشذوذ ببغداد في العصر النواسي.

ولكن الشعب العراقي الباسل ـ دائما عبر تاريخه ـ استطاع أن يفرض إرادة العدل وينشر آية النور في وجه طغاة سلفوا، كانوا أعظم منهم بطشاً وأشد فسادا وشذوذاً.. ومع ذلك فما كانوا معجزين!..

على أن حلف بغداد كان نذيرا لكل الشعوب الآسيوية والإفريقية.. فمن بعد هذا الحلف، وخلال الظروف التي عاصرته، ألحت الحاجة إلى تنسيق جهود الدول الآسيوية الإفريقية وتنسيق كفاحها المشترك دفاعا عن سيادتها ولاستكمال استقلالها، وإبعاد شبح الحرب عن أرضها، ومقاومة الأحلاف التي تفرض عليها رغم إرادة شعوبها..

ألحت الحاجة إلى توفير الظروف التي تعين شعوب آسيا وإفريقيا على حياة منتجة تمارس فيها طاقتها وتستثمر مواردها الطبيعية، وتوسع التبادل التجاري والثقافي فيما بينها وبين دول العالم كافة من أجل رفع مستوى المعيشة، وحماية الثقافة الوطنية وإثراء الفنون والعلوم والآداب.

غير أن كثيرا من حكومات هذه المنطقة كانت تخضع للضغط أو تستعمل في المناورة.. وفي يناير سنة ٤٥٩١ نهضت حكومة مصر بدور حيادي مجيد في مجلس الجامعة العربية، وخطت مصر من خلال الجامعة خطوة جريئة في سبيل عقد مؤتمر آسيوي إفريقي لتبادل وجهات النظر والاتفاق على وسيلة لرفع مستوى المعيشة وحماية السلام العالمي، واستكمال السيادة الوطنية والدفاع عنها..

وفي جلسة ١٢ يناير سنة ٤٥٩١ أصدر مجلس الجامعة العربية قرارا ينص على أهمية عقد مؤتمر آسيوي إفريقي.

وكان قرار جامعة الدول العربية في يناير سنة ٤٥٩١ تتويجا لقرار مؤتمر بيروت الذي انعقد بين ٧١ و ٩١ ديسمبر سنة ٣٥٩١ باسم مؤتمر الدفاع عن حقوق الشرق الأدنى والأوسط، واشتركت فيه وفود عن الأردن وإيران وحضرموت وسوريا والعراق والمملكة العربية السعودية ولبنان ومصر مؤيدة من شعوب شمال إفريقيا وشعوب الخليج الفارسي. وأجمع المؤتمر على قرارات تتعلق باحترام السيادة الوطنية واستكمال الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي، وتأييد كفاح الشعوب الآسيوية والإفريقية.

على أن الدعوة إلى عقد مؤتمر الشعوب الآسيوية والإفريقية إنما تبلورت خلال المعركة ضد حلف تركيا ــ العراق وخلال المعركة التي تخوضها شعوب جنوب شرق آسيا ضد حلف مانيلا، وتخوضها شعوب إفريقيا السوداء ضد مشروع الحزام الإفريقي وخلال معارك أشقائنا المناضلين في تونس والجزائر ومراكش، وضد وحشية الاستعمار هناك..

ولم تكد تنفجر فكرة المؤتمر حتى تبنتها مصر، ودعت إلى اجتماع عام حضره مندوبو الدول العربية، ووافق مجلس الجامعة على توصية اللجنة السياسية، التي صدرت بعد بحث مشروع عقد المؤتمر الآسيوي الإفريقي: قرر الاشتراك في هذا المؤتمر بوفود قوية تضم عناصر سياسية واقتصادية وثقافية والعمل على بحث القضايا العربية وبصفة خاصة قضية فلسطين مع غيرها من القضايا العالمية مثل مكافحة الاستعمار ومقاومة التمييز العنصري، وتنظيم التسلح والطاقة الذرية.

وقررت الجامعة إيفاد مندوب عنها للاشتراك في المؤتمر.أما

الدعوة الرسمية إلى المؤتمر الآسيوي الإفريقي فقد نبعت أول الأمر في مؤتمر كولمبو الذي عقد في ٨٢ أبريل إلى ٢ مايو سنة ٤٥٩١ بدعوة من رئيس وزراء سيلان؛ إذ اجتمع برؤساء حكومات بورما والهند وإندونيسيا وباكستان.

وفي نفس الوقت عقد مؤتمر جنيف لحل مشكلة الهند الصينية مسجلاً انتصار المطالب الرئيسية للمدافعين عن السلام: وهو وقف إطلاق النار فورا، وحل المشاكل بالتفاوض واجتماع الخمس الكبار.

أما مؤتمر كولمبو فكان هدفه تنسيق تعاون دول جنوب شرق آسيا.

وأعلن مؤتمر كولمبو أنه يجب على فرنسا أن تعلن تأييدها لاستقلال الهند الصينية: وأعلن الرؤساء الخمسة في كولمبو استنكارهم للاستعمار وتأييدهم لاستقلال تونس ومراكش وعطفهم على اللاجئين الفلسطينيين العرب وأملهم في تسوية عاجلة لمشكلة فلسطين، ودعوا إلى أن تحترم كل دولة سيادة الأخرى وألا تتدخل في شئونها، وطالبوا بتحريم إنتاج القنبلة الذرية وغيرها من أسلحة التدمير الشامل، وكذلك طالبوا بتمثيل الصين الشعبية في الأمم المتحدة.

اقترح رئيس وزراء إندونيسيا على أعضاء المؤتمر عقد مؤتمر آسيوي إفريقي واسع وتعهد هو في اجتماع كولمبو ببحث الوسائل العملية لعقد هذا المؤتمر.

وفي ٥١ سبتمبر سنة ٤٥٩١ أذاع رئيس وزراء إندونيسيا من نيودلهي "إن على الآسيويين أن يقرروا مستقبلهم بعيدا عن تدخل العالم الغربي؛ إذ لا يجب أن تستمر دعوى ‌ الآسيويين يقاتلون الآسيويين، فنحن نريد أن نتعاون مع جيراننا الآسيويين والإفريقيين وأن نحيا معهم في صداقة، وأن نعمل معا لهدف واحد من أجل صالحنا العام المشترك بيننا جميعا.

وفي نفس اليوم صدر بيان مشترك من سسترو رئيس وزراء إندونيسيا ونهرو رئيس وزراء الهند، أعلنا فيه أنهما اتفقا على عقد مؤتمر آسيوي إفريقي يخدم قضية السلام العالمي ثم أصدر رئيس الحكومة الإندونيسية بلاغا مشتركاً مع رئيس حكومة بورما (بونو) تأييدا لعقد مؤتمر آسيوي إفريقي، وأرسلت إندونيسيا إلى الدول العربية الإفريقية تسألها رأيها في مشروع المؤتمر، وكان من أهم الردود ذلك القرار الذي أصدره مجلس جامعة الدول العربية في ١١ ديسمبر سنة ٤٥٩١ متضمنًا ترحيب الدول العربية بالاشتراك في هذا المؤتمر مع اشتراط عدم دعوة إسرائيل إلى المؤتمر أو السماح لها بالاشتراك على أي نحو.

وفي يومي ٨٢، ٩٢ ديسمبر سنة ٤٥٩١ عقد في بوجور (إندونيسيا) مؤتمر من رؤساء حكومات دول كولمبو الخمس، وأصدر مؤتمر بوجور بيانًا بالدعوة للمؤتمر الآسيوي الإفريقي جاء فيه أن دعوتهم لعقد المؤتمر الآسيوي الإفريقي لا تعطي امتيازا لهم على الدول المشتركة في المؤتمر وبأنهم لا يريدون تكوين كتلة إقليمية من الدول الأعضاء، وأيد المؤتمر قضيتي تونس ومراكش وحدد الدول المدعوة بخمس وعشرين دولة ليس من بينها إسرائيل، وقرر مناقشة دعة الصين الشعبية.

وحدد بيان بوجور أسس المؤتمر وأهدافه بأنها تحديد لوضع آسيا وإفريقيا وشعوبها في عالم اليوم، وبيان ما تستطيع هذه الشعوب النهوض به في خدمة السلام والتعاون الدولي. وذلك بالسعي لتوطيد الثقة ودعم التعاون بين البلاد الآسيوية الإفريقية لتوضيح المصالح المشتركة، والإفادة من تبادلها ولتوثيق أواصر المودة وحسن الجوار، وبحث المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للدول الآسيوية الإفريقية وعلاقتها ببعضها والعمل المشترك

للتقدم الاقتصادي، والدعوة لتبادل المعلومات عن مصادر الثورة الطبيعية وغيرها، والمساهمة في لجنة من الفنيين تعمل في هذا الميدان.

وبحث القضايا التي تعني الشعوب الآسيوية والإفريقية وخاصة قضايا السيادة القومية ومكافحة التمييز العنصري والاستعمار.

ودعا بيان بوجور كفالة السلام العالمي وتحريم الأسلحة الذرية والهيدروجينية.

وقرر رؤساء الحكومات الخمس الذين أصدروا البيان، أن قبول الدعوة إلى المؤتمر الآسيوي الإفريقي يعني موافقة الدول المشتركة على أهداف المؤتمر بصفة عامة، وقرروا أنهم يرون أن نظام الحكم أو الحياة لأية دولة لا ينبغي أن يكون سببا لتدخل دولة أخرى.

وكان لهذا البيان صدى ضخما في العالم العربي، وأذكى نار المعركة المقدسة التي اتقدت ضد حلف تركيا ـ العراق تحت قيادة الموقف الباسل لشعوبنا العربية وحكومة مصر وسوريا.

وعندما تلقت الجامعة العربية بيان مؤتمر بوجور متضمنًا مبادئ وأهداف المؤتمر الآسيوي الإفريقي أعلنت في ٥ يناير سنة ٥٥٩١ بيانا تؤيد فيه بيان بوجور.

أما مصر فإنها قادت الشعوب العربية في حماسها لهذا المؤتمر، واقترحت الحكومة المصرية على اللجنة التحضيرية للمؤتمر بحث قضية فلسطين وشمال إفريقيا وقضية الحرية والتمييز العنصري ومراقبة التسلح.

كانت المؤامرة إذ ذاك على أشدها لضم مصر وسوريا وسائر الدول العربية والشرق الأوسط إلى حلف تركيا ـ العراق..

وفي الشرق الأقصى كان مستر دلاس وزير الخارجية الأمريكية يطير من مدينة إلى أخرى في مزارع المطاط الواسعة هناك، ليحمل الحكام على قسم بلادهم إلى حلف مانيلا.. وحلف جنوب شرق آسيا.

ولم يكد يعلن بيان بوجور في ديسمبر سنة ٤٥٩١ ويعلن تأييد الجامعة العربية لهذا البيان في يناير سنة ٥٥٩١ حتى نشطت الدوائر الدبلوماسية الأمريكية في اتصالاتها، وتدفق الدولار هنا وهناك أنهارًا، وامتلأت الصحف المدافعة عن مصالح دوائر المال الأمريكية بكل لسان ـــ حتى اللسان العربي المبين ـ تطعن في فكرة مؤتمر باندونج وتستخف به وتتنبأ له بالفشل، وتنصح الذين قبلوا الدعوة بالاعتذار وتحذرهم من خطر الجلوس على مائدة واحدة مع ممثل الصين الشعبية..

وامتلأت كثير من الرءوس والقلوب بالفزع والهواجس من لقاء شوان لاي بممثلي البلاد الآسيوية والإفريقية..

وفي غمار هذا الفزع أعلن رئيس وزراء سيام ـ وهي إحدى الدول الخمس الداعية إلى عقد المؤتمر أن بلاده لن ترتبط بقراراته، وأعلن وزير خارجية الفلبين أن بلاده لن تشترك..

كان مستر فوستر دلاس في تلك الأيام بالذات يثبت بطائرته بين سيام والفلبين، وأعلنت صحف بالذات في مصر أن مؤتمر باندونج مظاهرة شيوعية قادتها الصين لتخدع بعض الدول الآسيوية والإفريقية باسم الاستقلال، وتجرها إلى الجلوس معها على مائدة واحدة، وتعتبر مجرد الجلوس معها. اعترافاً سياسيا!

وفي نفس الوقت كانت قيادات الكفاح الوطني في كثير من بلاد آسيا تسعى جاهدة لإنجاز عقد المؤتمر ولإنقاذه من المؤامرة، فأذاع رئيس الرابطة الإسلامية الشعبية (شرق الباكستان) أن مؤتمر باندونج وسيلة لحماية السلام في آسيا.

ونشرت الصحف المصرية تصريحا للرئيس جمال عبد الناصر أكد فيه أن مصر ستشترك في المؤتمر، ولن يعوقها شيء، وسنقوم بدورنا في حماية السلام في آسيا. والسيادة الوطنية..

* * *

ونود هنا أن نذكر موقف كلٍّ من المعسكرين الشرقي والغربي من المؤتمر.

نشرت جريدة السن تايمز التي تصدر في أمريكا معبرة عن مصالح الدوائر المالية الأمريكية التي تستقل معظم رءوس أموالها في شرق آسيا؛ "أن انعقاد مثل هذا المؤتمر يعتبر تهديدا مباشرا للمصالح الأمريكية في آسيا. وأن هذا المؤتمر أمر غير مرغوب فيه إلى آخر حد".

وفي ١٢ ديسمبر سنة ٤٥٩١ نشرت صحيفة واشنطن بوست مقالاً طويلاً عن المؤتمر الآسيوي الإفريقي جاء في مقدمته: "سيكون هذا المؤتمر فرصة لكي تدق الدول الآسيوية والإفريقية طبولها مجتمعة لتجد الدول العربية الفرصة للنيل من إسرائيل، وتجد إندونيسيا الفرصة للنيل من اليابان، وتجد الصين الشيوعية فرصة للداعية عن نفسها، ويصبح المؤتمر كله فرصة لمهاجمة الرجل الأبيض وما يسمي بالاستعمار والتفريق العنصري.. إن تعصب الملونين وضيق أفقهم ليس جديدا في التاريخ على أية حال".

وفي تاريخ مماثل نشرت جريدة نيوزويك الأمريكية كلاما (ممــاثلا). ونشرت جريدة الفيجارو، وهي صحيفة تصدر في فرنسا باللغة الفرنسية تعبيرا عن المصالح والأعمال الأمريكية؛ "إن حلف جنوب شرق آسيا هو الذي كفل السلام للآسيويين، لا هذا المؤتمر الذي يراد عقده للهجوم على إسرائيل وإشعال نار التعصب ضد الرجل الأبيض". وأعلنت النيويورك تايمز غضبها على المؤتمر لأن إسرائيل وكوريا الجنوبية لم تُدع إليه.

وعلى حين كانت الدعوة إلى مؤتمر باندونج تعبر عن أمل كل الشعوب الآسيوية والإفريقية في التعاون الدولي على قدم المساواة، وفي صيانة السلام العالمي والسيادة القومية

لهذه الشعوب التي تشكل أكثر من نصف سكان الكرة الأرضية.. على حين كانت الدعوة إلى هذا المؤتمر تعبيرا عن رغبة غالبية سكان العالم (الآسيوي والإفريقي) في إلغاء التمييز العنصري بينهم وبين ما يسمى بالرجل الأبيض. وفي إنعاش حياتهم ونهضتهم الاقتصادية والثقافية.. وعلى حين مضت الصحف التي تعبر عن الأماني الوطنية لهذه الشعوب تظهر تفاؤلَها بالمؤتمر بوصفه طريقًا لإنقاذ الأمن الدولي، وأساسا لخلق منطقة سلام في هذا الجزء من العالم.. وعلى حين كانت مثل هذه الدعوة دليلاً على التغيير الذي حدث في البلاد الآسيوية والإفريقية بعد الحرب الأخيرة.. على حين حدث هذا كله فقد أثارت الدعوة إلى المؤتمر استفزاز كثيٍرمن الدوائر الغربية، فقد خافت الدوائر التي تستثمر أموالها في آسيا وإفريقيا، والتي تحشد الجيوش وتصدر القوانين والقيم الفكرية والثقافية والأغلال لحماية هذا الاستغلال.. خشيت بعض الدوائر من هذا كله فأطلقت صحافتها بكل لسان تطعن في فكرة

المؤتمر.. وتخلق أمامه العراقيل، وتحذر من الاشتراك فيه، وتصطنع كل ما لديها من وسائل لتشويهه والاستخفاف بقيمته!!

والتقرير المنشور من جامعة الدول العربية عن المؤتمر الآسيوي الإفريقي يتعرض لمواقف أخرى لدول أخرى، وهذا ما جاء في تقرير الجامعة العربية بالحرف الواحد؛ "لقي المؤتمر الآسيوي الإفريقي تأييدا عاما من جانب المعسكر الشرقي. ولم يكن ذلك عيبا ما دامت الصين الشعبية قد دُعيت إليه، وما دامت أهداف المؤتمر تتجه نحو تحرير الشعوب الآسيوية والإفريقية، ومحاربة الاستعمار والتمييز العنصري.

ويبيِن ذلك في وضوح من تعليقات الصحف وتصريحات المسئولين.

وقد تركزت تعليقات الصحف في اتهام الغرب بمحاولة الضغط على الدول المشتركة في المؤتمر، ثم لاشتراك العرب في منظمة دفاعية جديدة غربية على غرار منظمة الجنوب الشرقي لآسيا.

وفي مقال نشرته جريدة أزفستيا بتاريخ ١١ فبراير سنة ٥٥٩١ بعنوان "رغم دسائس استعماريي واشنطن" تحدث المعقب الدبلوماسي ك. بتروف "K Petruv" عن ترحيب شعوب آسيا وإفريقيا بالمؤتمر الآسيوي الإفريقي، وعن حنق الدوائر الحاكمة في واشنطن، حنقًا ظهر في ثورة الصحافة الأمريكية على المؤتمر.

واقتبس أقوالاً لصحيفتي الأهرام والجمهورية المصريتين في هذا الصدد عقب عليهما قائلاً: "إن المناورات التعسفية التي قامت بها الدبلوماسية الغربية لم تنجح في خديعة الرأي العام العربي. فقد عرف هذا العالم أن سياسة واشنطن تستهدف ضم البلاد العربية في كتلة عسكرية على غرار منظمة جنوبي شرق آسيا "Seato" وهنا يتجلى الدافع الحقيقي الذي انطوت عليه دعوة أمريكا للبلاد العربية، بأن تمتنع عن الاشتراك في المؤتمر الآسيوي

الإفريقي، وبأن ترفض المساهمة في أية تدابير مشتركة تتخذها جميع البلاد التي تمثل القارئين لتأمين سلامتها وتحريرها وتحقيق استقلالها.

"وعلى الرغم من تقديرات الدوائر الرسمية الأمريكية، فإن بلاد الشرقين الأدنى والأوسط قبلت الدعوة إلى مؤتمر باندونج.

وقد عبر الأمين العام لجامعة الدول العربية عن اتفاق أهداف المؤتمر مع أهداف الجامعة فقال: "ولا ريب أن جامعة الدول العربية تؤيد السعي لتوطيد الثقة ودعم التعاون بين البلاد الآسيوية والإفريقية، لكي توضح معالم المصالح المشتركة بينها، وتفيد في تبادلها، ولكي تؤسس وتمكن أواصر الود وحسن الجوار بينها".

وختم الرفيق ك. بتروف حديثه بقوله: "إن الأهمية التي توليها جمهرة شعوب آسيا وإفريقيا للمؤتمر، رغم مكائد الاستعماريين الأمريكان والإنجليز، لنبين في قوة أن هذه الشعوب تتجه الآن إلى مزيد من التقدير للحقيقة البينة، وهي أنها يجب أن تتعاون في بذل الجهود للكفاح من أجل السلام والاستقلال الوطني".

وعالج مقال، في نشرة الاستعلامات الصادرة في يوم ٧ مارس سنة ٥٥٩١ عن السفارة السوفيتية بالقاهرة، موضوع هذا المؤتمر. فحمل على الاستغلال الاستعماري لبلاد آسيا وإفريقيا، ومحاربة الآسيويين والإفريقيين للعبودية، وكفاحهم في سبيل التحرير ثم قال:

"وقد حدثت تغييرات كبرى وخاصة في آسيا. أدت إلى أن أصبح اليوم تقرير مستقبل آسيا بيد الآسيويين أنفسهم، لا بيد الدول الاستعمارية والسياسة الخارجية الخاصة لبلاد آسيا المستقلة، تصدر الآن عن روح السلام، وتتجه إلى السعي للمحافظة على الأمن العالمي. ومن أمثلة هذا موقف الدول الآسيوية في هدنة كوريان ومشكلة الهند الصينية وإعلان المبادئ الخمسة للتعايش السلمي بين جمهورية الشعب الصيني والهند وبورما، وتأييد عدد آخر من البلاد لهذه المبادئ، يضع قاعدة التعاون الوثيق بين البلاد الآسيوية والإفريقية في سبيل كفالة السلام ودعمه ومكافحة الاستعمار".

وتحدث المقال عن ترحيب الدول الآسيوية والإفريقية بالمؤتمر، وتجهم صحافة الغرب وخاصة أمريكا له. وقال إن هذا التجهم طبيعي في أمريكا التي سلكت سياسة استعمارية عقب الحرب العالمية الثانية، وأصبحت العدو الأول لشعوب آسيا وإفريقيا، تلك الشعوب التي ظفر بعضها بالاستقلال، ولا يزال بعضها يكافح في سبيله. وضرب الأمثلة لجهد أمريكا في هذا السبيل الاستعماري بحلف جنوب شرق آسيا. والضغط على البلاد العربية لتأليف كتلة دفاعية عن الشرق الأوسط، والاتفاق مع شان كايشيك، ثم قال إن أمريكا تبذل جهودا وضيعة للتفريق بين البلاد العربية، وجرها إلى سياسة الأحلاف مع أن صوالح العرب في الاتحاد مع الدول

الآسيوية الإفريقية، ولهذا كان من الطبيعي أن تثور الصحافة الأمريكية لمحادثات رئيسي حكومتي الهند ومصر: نهرو.. وعبد الناصر!.

وانتهى المقال إلى أن من الممكن - رغم الخطط الاستعمارية - أن يصبح المؤتمر نقطة هامة في تاريخ الكفاح الآسيوي الإفريقي، إذا تحرت البلاد المشتركة فيه مصالحها الخاصة وتمكين تعاونها ووحدتها في سبيل الدفاع عن مصالحها. فمثل هذا يكسبها قوة تقضي على ما ترسمه الدول الاستعمارية من خطوط متخاذلة، وصرحت المصادر المسئولة في موسكو يوم ٩ مارس سنة ١٩٥٥ بأن المارشال بولجانين رئيس حكومة الاتحاد السوفيتي عبر عن رأيه في المؤتمر لسفير بورما في موسكو إذ قال: "إن المؤتمر الآسيوي الإفريقي مؤتمر عظيم الأهمية جليل الفائدة"..

هذا هو موقف الكتلة الشرقية في المؤتمر..

* * *

أما موقف الكتلة الغربية من المؤتمر الآسيوي الإفريقي.. أما هذا الخط الغريب عليه فيرجع إلى العديد من الأسباب:

أولها: هو تعارض أهداف المؤتمر مع المصالح الغربية هناك إذ أن مصادر الثروة والموارد الأولية للاحتكارات الأجنبية تكمن كلها في بلاد تلك المنطقة، فضلاً عن أن ٤٠ % من صادرات الاحتكارات الغربية تتخذ من تلك المنطقة أسواقها.

ثم إن سياسة الإعداد للحرب قائمة على حشد الدول الآسيوية والإفريقية في أحلاف عسكرية ضد الاتحاد السوفيتي "كحلف تركيا ـ باكستان وتركيا ـ العراق وجنوب شرق آسيا".. وهذه التحضيرات للحرب تقتضي السيطرة الكاملة على ثقافة واقتصاديات وسياسة البلاد المشتركة في باندونج.. وما زالت ترهق ضمائرنا ذكريات رهيبة من وحشية التدخل الأجنبي في إيران للاحتفاظ بالبترول وانتزاعه من يد الشعب الذي قرر تأميمه، وما زالت ذكريات من بطولة فاطمي ومصرع مئات غيره من الشهداء، ترعش نبضاتنا حتى الأعماق..!

ولكي لا تسيل دماء أخرى من بعد، اتجهت إرادة الذين نادوا بعقد المؤتمر وأحسنوا استقباله، إلى بحث وسائل النهوض بالاقتصاد الوطني، وحماية السيادة الوطنية من كافة أشكال التدخل الأجنبي، وإلى التعاون السلمي بين كافة الدول على أساس الاحترام المتبادل والمزايا المتكافئة.

وثمة أسباب أخرى لهجوم الكتلة الغربية على فكرة عقد المؤتمر أوردها تقرير الجامعة العربية، إذ التقاء الدول الآسيوية والإفريقية في الصين الشعبية قد يقوي فكرة انضمام

الصين الشعبية إلى الأمم المتحدة، وهذا هو أول ما تكافحه الولايات المتحدة، وكان للصهيونية سلطانها في هذه الولايات فقد تلقت بيان بوجور بهياجٍ ظاهرٍ عبرت عنه الصحافة الأمريكية غداة إعلان البيان؛ ويمضي تقرير الجامعة في تعليل هياج بعض الدوائر الغربية ومحاولاتها إحباط انعقاد المؤتمر بما يلي:

أولاً : دعوة الصين الشعبية لحضور المؤتمر وهو أمر كانت سيلان وباكستان تعارضانه في مؤتمر بوجور ثم سويت المسألة بدعوة اليابان والصين الشعبية معا، وكذلك انتصار الجامعة العربية بعدم دعوة إسرائيل.

ثانيا : الإعلان عن أن الاستعمار والتمييز العنصري سيكونان من موضوعات المؤتمر الأساسية، وهذا أمر يرضي الشرق بقدر ما يغضب الغرب.

ولمحاولة إحباط المؤتمر قصة بدأت بالهجوم العنيف عليه أثناء التحضير، ثم الاختلاف السياسي بين بعض الدوائر الغربية الذي يحركه تعارض المصالح الاقتصادية، ثم تراجع المختلفين جميعا عن الهجوم على المؤتمر، ومحاولة تخريبه من الداخل.

وبعد الهجوم العنيف الذي شنته بعض الصحف الأمريكية الصادرة بلغات مختلفة، بدأ التراجع والتشكيك في قيمة المؤتمر والسخرية به، والتأكيد إلى حد القسم بأنه لن يعقد، حتى إذا تأكدت الدوائر التي تشفق من انعقاد المؤتمر، ويهدد وجودها التقاء إرادة كل الشعوب الآسيوية والإفريقية، حتى إذا تأكدت أنها لن تفلح في منع عقد المؤتمر وسينعقد على الرغم منها، ولن تكسب إلا امتناع عميلاتها في الشرق الأوسط أو في جنوب شرق آسيا عن حضور المؤتمر.

والتفسير سهل بسيط، وهو يفسر أيضا الموقف المتخبط الذي وقفته بعض الأبواق وبعض الدول التابعة لدوائر بعينها في الغرب، تقوم حياتها على استثمار الأرض والناس في آسيا وإفريقيا وعلى تجارة السلاح. فقد قررت هذه الدوائر الغربية أن تشترك في المؤتمر، وتشرك فيه الدولتين اللتين انسحبتا "الفلبين وسيام" وغيرهما من الدول التابعة التي هاجمت فكرة المؤتمر في أول الأمر.. وخُيل لصانعي الأفلام، أفلام المغامرات، أنهم يستطيعون أن يجعلوا من هذه الدول التابعة حصان طروادة الخرافي الذي يخرج منه في الوقت المناسب جنود يحرقون المدينة ويدوسون الحضارة والثقافة وكل القيم الرائعة.. غير أن الذين اجتمعوا في باندونج لم يكونوا كأهل طروادة.. كان كل منهم هكتور جديد يملك مصيره ولا يموت.. أما الحصان الخشبي فكان لعبة أطفال.

وهكذا فشل النجار الحديث جون فوستر دلاس ولم تستطع الدمى الخشبية الصغيرة التي صنعها أن تحول الحراب إلى صدور الشرفاء.. كانت هذه الدمى مجرد لعب يتلهى بها أطفال!!

* * *

ومنذ أعلن بيان بوجور وأعلنت حكومة مصر موقفها الرائع في ينـاير سـنة ٥٥٩١ ودبلوماسية الدوائر التي تعادي المؤتمر تمارس كل أنواع الضغط والحيلة والخديعـة لتحمـل مصر وسوريا على الانضمام إلى حلف تركيا ـ العراق أو تركيا ـ باكستان ولتحمل الهنـد وبورما على الانضمام إلى حلف جنوب شرقي آسيا.

ولكن مصر والهند وبورما وإندونيسيا كل منهم تواجه الضغط بمزيد مـن الإصـرار والرفض والأمل في التقاء الشعوب الآسيوية الإفريقية والحرص الرائع على التعايش الـسلعي والاندفاع المجيد في فضح التكتلات العسكرية.

ودعت واشنطن إلى مؤتمر عقد في ٣٢ فبراير سنة ٥٥٩١ في مدينة بانكوك حضره مستر دلاس ليغري به دول جنوبي شرق آسيا، ويوقعها في قبضة الدولار. وفي المؤتمر الذي عقد تمهيدا لتوثيق حلف جنوب شرقي آسيا اصـطدمت بمخـاوف الاحتكـارات البريطانيـة المتهالكة التي تملك كثيرا من مصادر الثروة في تلك المنطقة، بمطامع الاحتكارات الأمريكيـة الغنية التي تعاني أزمة توزيع، وتملك أقوى صناعة في العـالم الغربـي وأقـوى الأجهـزة والوسائل هناك باسم مشروع أيزنهاور لتحمل كثيرا من الدول على سلوك سياسة بعينها فـي مؤتمر باندونج.

وراعت الدوائر البريطانية من هذه الرشوة، وولد مشروع ميثاق حلف جنوبي شرقي آسيا يحمل بذور فنائه:

فلم تفلح واشنطن في أن تجر في سياستها غير حكومات الدول المجرورة من قبل.

ولقد حاولت أن تستخفي تحت شعار آسيا الحرة، وتغري بمساعدتها الماليـة "الدولـة الحرة" بزعامة فورموزا وكوريا الجنوبية والفلبين.

وأعلنت صحف آسيوية كثيرة حتى في الدول التي تسميها أمريكا "حرة" أن عقـد حلـف جنوب شرق آسيا يعتبر خيانة لروح جنيف، وإهدارا للرغبات الطيبة التي أبديت في مـؤتمر جنيف.. فقد عقد مؤتمر بانكوك قبل أن يجف المداد الذي كتبت به توصيات مؤتمر جنيـف.. ومؤتمر جنيف هو أول مؤتمر رسمي يعقد بعد الحرب الكبرى، ويلتقي فيه الخمـس الكبـار تحقيقا لرغبة شعوب العالم، التي ظل يعبر عنها أنصار الـسلام العـالمي ومجلـس الـسلام العالمي، في سلسلة من النداءات والعرائض والتوقيعات منذ سنة ٩٤٩١.

* * *

على أن تحفز الدوائر المعادية لباندونج، كان يقابلها من الناحية الأخرى يقظة شعوبنا لتطهير الطريق إلى باندونج من كل الأشواك والأفاعي والصخور.. كانت البيانات الوطنية التي يعلنها الرئيس جمال عبد الناصر ونهرو وسوكارنو والمقالات الملتهبة التي يكتبها الزعماء الوطنيون في سوريا ومحطة الإذاعة المصرية بكل طاقاتها.. كان كل ذلك تعبيرا عن آمال شعوبنا الغربية وحرصها على نجاح المؤتمر.

* * *

وشهدت نيودلهي في تلك الفترة مؤتمر السلام للشعوب الآسيوية دعت إليه لجنة واسعة من أنصار السلام والمكافحين الوطنيين في الهند، فتولت سكرتارية اللجنة السيدة رمشواري نهرو.. واشترك في هذا المؤتمر مندوبون من الهند والصين واليابان والاتحاد السوفيتي وبورما والباكستان وسوريا ولبنان والأردن وظل المؤتمر مجتمعا خمسة أيام تحت راية تضامن الشعوب الآسيوية، ثم أصدر قراراته تأييدا للمبادئ الخمس التي اتفق عليها نهرو وشوان لاي:

أ- الاحترام المتبادل للسيادة الوطنية والحدود الإقليمية.

ب- عدم الاعتداء.

ج- عدم التدخل في الشئون الداخلية.

د- المساواة وتبادل المنافع.

ه- التعايش السلمي.

وأصدرت قرارات أخرى بتحريم إنتاج استعمال وتجربة الأسلحة الشاملة الإبادة، وإتلاف المخزون منها فوراً، واستخدام الطاقة الذرية للأغراض السلمية، وإقامة رقابة دولية على الطاقة الذرية، وإعادة الحقوق الشرعية للصين الشعبية في الأمم المتحدة، ومناشدة الأمم المتحدة أن تعود إلى روحها وأهدافها الأصلية التي ألهمت على مؤسسيها، وأوصت بأن تقيم البلاد الآسيوية علاقات رسمية مباشرة فيما بينها، وبأن تقبل اليابان في الأمم المتحدة بدون التزامات عسكرية، وطالب بإلغاء التمييز العنصري وبحرية التجارة بدون التزامات عسكرية، وطالب بإلغاء التمييز العنصري وبحرية التجارة، وبوضع سياسة اقتصادية وطنية للبلدان الآسيوية، وبتطوير وحماية الثقافات الوطنية، وإعادة الروابط الثقافية، وتوسيع تبادل الخبرة بين البلاد الآسيوية وكافة جميع بلاد العالم، وبإعطاء الحكومات الشرعية حقوق السيادة على أرضها، وطالب بمساواة النساء بالرجال وإعطائهن حقوقهن، وتوفير الشروط الضرورية لسلامة نمو الأطفال. ثم أصدر المؤتمر قرارا خاصا بتأييد نضال الشعوب العربية وهاجم الضغط العدواني الذي تمارسه بعض الدوائر الاستعمارية عن طريق إسرائيل وتركيا، لإنشاء

الأحلاف والقواعد العسكرية في البلاد العربية، وإعادة السيطرة الاستعمارية عليها، وأيد المؤتمر اللاجئين العرب وحقهم في العودة إلى فلسطين.

ثم وجه مؤتمر نيودلهي رسالة إلى مؤتمر باندونج دعا فيها جميع الشعوب الآسيوية والإفريقية إلى المساهمة في تطوير روح التضامن القائم على الرضا غير المشروط بمبادئ التعايش السلمي، وأيد شعوب كينيا ومراكش وتونس والجزائر وغيرها من الشعوب الإفريقية المناضلة، وأبدى استنكاره للإرهاب والفظائع التي تحيق بشعوب شمال إفريقيا المناضلة من أجل الحرية، ودعا إلى وضع حد لهذه البربرية. وأصدر احتجاجا ضد جميع الأحلاف والقواعد العسكرية في آسيا مثل حلف جنوب شرق آسيا والحلف التركي العراقي. وأصدر قرارا يقضي بوجوب إزالة جميع القواعد العسكرية الأجنبية من آسيا وجلاء الجيوش الأجنبية واستنكار الضغط. على بلاد آسيا بقصد إرغامها على الانضمام إلى أحد هذه الأحلاف.

* * *

وبدأت الوفود تُقبل على باندونج من تسعٍ وعشرين دولة آسيوية وإفريقية.. يساندها نضال الشعوب العربية وشعوب الشرق الأوسط والأدنى ضد الاستعمار، ويدعمها انتصار الصين الشعبية وهزيمة المحاولات العدوانية في كوريا والهند الصينية، وكفاح لا تخمد جذوته تخوضه في سبيل العدل شعوب شمال إفريقيا وكينيا والملايو والكمرون وجنوب إفريقيا.

وقبل عقد المؤتمر بيومين سقطت طائرة الوفد الصيني محترقة في أعماق البحر الذي تحرس أعمال القرصنة فيه، أساطيل تملك المدافع الذرية والنساء الشقراوات.

وأعلنت وكالات الأنباء الغربية في نبرة أسف مصطنع لم تستطع أن تخفي فرحها الوحشي، أن طائرة الوفد الصيني احترقت وسقطت في الماء، وظنت أن شوا ين لاي من بين الذين احترقوا... وبعد ساعات أعلنت وكالات الأنباء نفسها بنبرة أسف صادق هذه المرة أن شوا ين لاي لم يكن من بين ركاب الطائرة، وأنه حي لم يمت..

وصرح نهرو أن حادث الطائرة كان متعمدا، ومن فعل فاعل.. وثبت فيما بعد أن قنبلة زمنية وضعت في الطائرة.

وأذاع راديو بكين أن مؤامرة استعمارية أحرقت الطائرة، وكانت ترمي إلى قتل الوفد الصيني كله وإسقاط حكومة إندونيسيا لإحباط المؤتمر الآسيوي..

وإسقاط حكومة إندونيسيا التي تقود في جنوب شرقي آسيا سياسة الحياد الإيجابي، هو من أهداف بعض الدوائر الحاكمة في الغرب أكثر من مرة.. ولم تنجح هذه الدوائر في كل محاولاتها، وإن كانت قد نجحت في قلب نظام الحكم بجواتيمالا بأمريكا اللاتينية!!

* * *

وفي يوم ٦١ أبريل سنة ٥٥٩١ أي قبل جلسة الافتتاح بيومين أذاعت وزارة الخارجية السوفيتية على العالم بيانا جاء فيه:

- "في ٨١ أبريل يفتتح في باندونج بإندونيسيا مؤتمر آسيا وإفريقيا تشترك فيه الهند وإندونيسيا وبورما وباكستان وسيلان وأفغانستان وكمبوديا وجمهورية الصين الشعبية ومصر والحبشة وساحل الذهب وإيران والعراق واليابان والأردن ولاوس ونيبال والفلبين والمملكة العربية السعودية والسودان وسوريا وسيام وتركيا وجمهورية فيتنام الديمقراطية وجنوب فيتنام واليمن.. فلأول مرة في التاريخ يجتمع مندوبون من تسع وعشرين دولة آسيوية وإفريقية يمثلون أكثر من نصف تعداد البشر ليتدارسوا معا مشاكل على جانب من الخطورة والأهمية، في تدعيم السلام والتعاون بين الشعوب.
- إن انعقاد مؤتمر يمثل البلاد الآسيوية والإفريقية، إنما يعكس بلا ريب التغيرات العظيمة التي حدثت في الآونة الأخيرة في هذه المناطق، ويعبر عن رغبة الشعوب الآسيوية والإفريقية في أن تضع مصيرها بين يديها. إن الشعوب الآسيوية والإفريقية تفهم بوضوح أن التحرر والاستقلال والسلام والتعاون هي وحدها التي تكفل ظروفه الضرورية اللازمة للتطور السياسي والاقتصادي والثقافي.. إن شعوب الاتحاد السوفيتي لتهتم كل الاهتمام وتؤيد كل التأييد كفاح الدول الآسيوية والإفريقية ضد كل أشكال السيطرة الاستعمارية، وفي سبيل الاستقلال السياسي والاقتصادي.. إننا نتمنى بإخلاص لمؤتمر باندونج نشاطا مثمرا، ونحن موقنون أن هذا المؤتمر سيعمل على تمكين الروح الوطنية في الشعوب الآسيوية والإفريقية، وأنه سيسجل تقدما جديدا في نمو التعاون بين الشعوب، لتفريج التوتر الدولي وتدعيم السلام العالمي...".

وخلال هذا الجو المشحون بالأمل المتوتر بالمؤامرة، تمت المعجزة وافتتح مؤتمر باندونج في ٨١ أبريل سنة ٥٥٩١.

اشتركت فيه ثلاثون دولة لكل دولة وضعها وأملها...

أما مصر فقد كانت من أرفع الدول المحايدة في هذا المؤتمر.

مضت إلى هناك بعد أن رفضت كل أشكال الضغط التي استعملتها بعض الدوائر الغربية، لتضمها إلى حلف دفاعي مشترك..

مضت مصر وفي جعبتها مشروع ميثاق سوري سعودي تواجه به عدوان إسرائيل، واستفزازات تركيا على حدودها وعلى الحدود السورية.

مضت مصر قلبها ينبض بالأمل، وظهرها مثقل بالمتاعب التي صنعتها لها السياسة الغربية المعادية للسلام، وعينها مفتوحة من الحذر، وفي قلبها ثقة..

مضت مصر لتشترك في باندونج والقطن المصري تحاربه في الأسواق العالمية إعانة التصدير الأمريكية، وإيمانها مع ذلك لا يتزعزع في المستقبل، وفي القدرة على أن تمضي فتصنع لنفسها حياة مستقلة كريمة.

اشتركت مصر في المؤتمر بأكبر الوفود عددا.. وفد على رأسه الرئيس جمال عبد الناصر.

مضت مصر إلى باندونج تتعلق بآمال كل الشعوب العربية بعد موقفها الباسل من حلف تركيا العراق، وتناوشها المؤامرات التي نسج خيوطها مغامرو البورصة في وال ستريت وصانعو مأساة شعب فلسطين، وتتصاعد من ورائها همهمة نباح من الذين يضعون فوق الرءوس طواقي حمراء.. حمراء كالدم.. حمراء كنجمة إسرائيل!

وعندما كانت إذاعة إسرائيل تفرغ كل قذارتها على باندونج، وعندما كانت العصابات تسفك دماء المصريين على الحدود، كانت صحف ٌ تصدر في أمريكا معبرة عن مصالح تجار السلاح والصهيونيين تهاجم مصر وعبد الناصر وباندونج ومشروع الميثاق العربي، وكانت صحف محملة بعفن الرطوبة وظلمة المقبرة —تصدر في مصر لتترجم إلى اللغة العربية كل هذه القذارات، ويسرح بما فيها على المقاهي غلمان صغار يربون اللحم في القفا وعلى الأصداغ، ويحاولون أن يكتسبوا بطولة زائفة بطعن الحكومة القائمة والتشهير بالنظام..

ومضت بعض هذه النشرات تقول: " إن السلام العالمي شعار مضلل" ومضى بعدهايقول: إن النظام القائم فاشي ولا بأس من التعاون حتى مع القوى الأجنبية "وطبعا مع إسرائيل" للقضاء على النظام القائم في مصر..

وكان طبيعيا مع كل هذا أن ينشر ممولو هذه الصحف العفنة كلمات ركيكة مبتذلة كالحجارة الملوثة في الخرائب، انتزعوها من انهيارهم ورصوها وكتبوا بها قصيدة هجاء.. أو رثاء.. رثاء لا لضمائرهم بالطبع، ولا لشرفهم، وإنما كطريقة داعرة للطعن في الكُتاب الوطنيين المناضلين عن السلام واستقلال الوطن. حاول الذين يصدرون هذه الصحف أن يشهروا بهؤلاء الكُتاب، مستعملين أكثر الأساليب انحطاطا ووحشية لأن هؤلاء الكتاب كشفوا بتحركهم الإيجابي كل المؤامرات التي يُراد بها عزل شعبنا عن المعركة، وتحطيم سياسة الحياد الإيجابي التي تتخذها ببسالة حكومة مصر.. وكان لا بد من نصوص لكمال الزيف.. أما النصوص فقد وُضعت عليها أسماء فلاسفة وثوار قدماء.. ولكنها في الحق كانت لكتاب وصحفيين معاصرين يعملون في الفيجارو الفرنسية، وفي أجهزة أمن الدولة الأمريكية، وفي راديو إسرائيل.. قال كاتب أمريكي يمثل مصالح الاحتكارات الأمريكية التي تعمل في آسيا وإفريقيا: إن سياسة مصر الخارجية المستقلة إنما هي خديعة للاستهلاك المحلي.. وقالت الفيجارو وقال راديو إسرائيل نفس الكلمات.. ونشرت في مصر باللغة العربية في هذه العربية

في هذه الصحف. نفس العبارات، مع بعض كلمات التشهير بالكُتاب الوطنيين.. كلمات لم يعد يسمعها الناس منذ أُلغيت أحياء الدعارة الرسمية!!

عندما كانت تنشر كل هذه الأشياء في مصر كان الدبلوماسيون الأمريكيون يتدفقون على باندونج ويعملون بنشاط متصل، لتحطيم المؤتمر ولمنع عقده، وكانت مجلة النيوز السوفيتية تتولى الرد.. أوجزت المجلة السوفيتية المذكورة هذه الحملات، وتولت الرد عنها كلها في مقال طويل نشر في عدد ٩١ أكتوبر سنة ٥٥٩١.

وعلى الرغم من أن الحكومة الإندونيسية نقلت مكان المؤتمر من جاكارتا، لأنها مدينة مزدحمة يبلغ سكانها ٢ مليون، ويسيطر فيها المليون الهولنديون والأمريكيون على عصابات بأسرها من ُقطاع الطرق.. على الرغم من أن الحكومة الإندونيسية نقلت مكان المؤتمر إلى "باندونج" عاصمة الجبل التي تسهل حراستها، فقد اكتشفت الحكومة الإندونيسية عدة محاولات لتطويرها ونسف المؤتمر.. وكانت عصابات أخرى من البغايا والمرتزقة تخدع الآخرين وترهب هواة السياسة في الخطوط الخلفية للمؤتمر..

* * *

الـفـصل الــثـانــي

مضى الذين أثقلتهم سنوات طوال من المحنة يلتقون في باندونج، منهم من يعبر عن إرادة شعبه، ومنهم من كبل شعبه في الحديد، وأثقل خطواته بالمخالفات العسكرية الأجنبية.

وفي هذا الفصل نحاول أن نوضح حالة بعض الدول التي لعبت دورا ما، في المؤتمر ليتبين لنا كيف نطق هذا الرجل أو ذاك...

كانت هناك جبهة تقف فيها مصر، والصين الشعبية، والهند، وبورما، وسوريا.. وجبهة أخرى ذهبت إليه كحصان طروادة تقف فيها: باكستان، والفلبين، وتركيا، والعراق. والدول المشتركة تقف هنا أو هناك. وأهم دول الجبهتين هي:

١- إندونيسيا ـ مساحتها ١,١٩٤,٠٠٦ كيلو متر مربع فـي أربعـة جزائـر، يعـرف المصريون منها جزيرة جاوة، غير خمسة عشر جزيرة أخرى صـغيرة، وتعـدادها ٠٠٠٠٠٢٨٧ يشتغل ٠٧ % من سكانها في الزراعة، ظلت مستعمرة هولندية مـدى ٠٥٣ عاما اشتعلت فيها ثورة وطنية لتحريرها بعد الحـرب الأخيـرة، وأعلنـت الجمهورية في ٧١ أغسطس سنة ٥٤٩١، ولم يعترف باستقلالها إلا سنة ٩٤٩١.

اعترفت لاهاي "هولندا" باستقلالها سنة ٤٥٩١، وعاصمتها جاكارتـا وتعـداد العاصـمة ٠٠٠٠٠٠٨٢. وباندونج من مدنها الكبرى وتعدادها ٠٠٠٠٥٧ ومنتجاتهـا الرئيـسية المطـاط والأرز والسكر والبن والشاي والعاج وزيت جوز الهند والبترول، وهي من أكثر بلاد العـالم للمطاط والبترول والقصدير.

وهي غير مرتبطة بأي حلف عسكري، وقد رفضت دائما منذ ثورتها أن تشترك فـي أي حلف عسكري، وهي في سياستها الخارجية مستقلة تمام الاستقلال تتبع سياسة الحياد.

٢- بورما ـ منطقة استوائية نصف مساحتها تغطيه الغابات، وسكانها نحو ٠٠٠٠٠٢٩١ ويعيش أكثر من ٥٧ % من السكان على الزراعة. وعاصمتها رانجـون تعـدادها ٠٠٠٠٠٥ نسمة كانت مستعمرة بريطانية، ونشبت فيها ثورة بعد الحـرب الأخيـرة وحصلت على استقلالها سنة ٧٤٩١ وأصبحت جمهورية اتحادية. وأهـم منتجاتهـا المطاط والأرز والزنك والأخشاب والرصاص والنحاس والقصدير.

وفي بورما كفاح بطولي متصل لاستكمال السيادة وتحرير التجارة، وتجارتها نشطة مـع الهند.

تنهج بورما سياسة الحياد. ولهذا رفضت مساعدات الغرب العسكرية ونسقت سياستها مع الهند، وعقدت ميثا َقعدم اعتداء مع روسيا.

ورفضت الاشتراك في الأحلاف العسكرية.

٣- الهند ـ "كما جاء في شرح الجامعة العربية" تقوم سياسة الهند على الحياد في المجال الدولي، حيادا إيجابيا يساهم به قادتها في معالجة المشاكل الدولية، من غير نزوع إلى مناصرة فريق بعينه. وهم

لهذا ينادون بالتعايش السلمي، ونبذ سياسة الأحلاف العسكرية التي تزيد حدة التوتر الدولي في رأيهم.

وقد عقدت الهند مع الصين الشعبية ميثا َقعدم اعتداء ينص على احترام كل منهما لسيادة الأخرى، وسلامة أراضيها ونظامها الداخلي، وعلى عدم التدخل في الشئون الداخلية. وعلى حياة كل منهما مع الأخرى.

١- أفغانستان ـ تترسم أفغانستان سياسة الحياد، وتتلقى معونات من الاتحاد السوفيتي ومن أمريكا على السواء، مقدرة ً عامل جوارها لروسيا.

٢- تركيا ـ تتعاون تركيا مع دول الغرب في سبيل أهداف مشتركة، وقد ارتبطت بحلف الأطلسي في فبراير سنة ٢٥٩١، وحلف تركيا ـ باكستان ـ في أبريل سنة ٤٥٩١ وحلف البلقان في أغسطس سنة ٤٥٩١ وحلف تركيا ـ العراق في يناير سنة ٥٥٩١.

٣- الفلبين ـ ارتبطت الفلبين بمعاهدة حربية مع الولايات المتحدة عقدت في ٤١ مارس سنة ٧٤٩١ لمدة ٩٩ سنة، منحت أمريكا عددا من القواعد للقوات الأمريكية؛ جوية، وبرية وبحرية، مع الترخيص في اتخاذ قواعد أكثر عند الضرورات الحربية، كما ارتبطت بحلف مانيلا للدفاع عن جنوب شرقي آسيا. ٤-

العراق ــ ملكية عربية يحكمها نوري السعيد ويسيطر عليها نظام الإقطاع، وناضلشعبها منذ زمن بعيد ببسالة نادرة ضد مظالم الإقطاع والاستعمار الإنجليزي، وأهم

مصدر غنَى للعراق هو البترول، وتسيطر عليه شركتان بريطانيتان شركة البترول العراقية، والشركة الإنجليزية الإيرانية. والعراق قاعدة عسكرية لقوات الغرب، قد أصبح جيشها بمقتضى معاهدة نوري السعيد خاضعا للقيادة الأجنبية، ومرتبطًا باستراتيجية هذه القيادة.

والعراق هي عصب الحلف التركي العراقي، الذي يربط سياستها الرسمية بسياسة تركيا وحلف تركيا باكستان ـ أمريكا.. وحلف جنوب شرق آسيا الباكستان عضو في حلف الأطلنطي، وموقف الحكومة العراقية التي اشتركت في باندونج من وحدة الكفاح العربي موقف معروف.

٣- الباكستان ـ باكستان الشرقية والغربية ـ ارتبطت باكستان بحلف دفاعي مع تركيا في أبريل من عام ٤٥٩١، كما ارتبطت بمعاهدة مانيلا في الدفاع عن جنوبي شرقي آسيا في سبتمر سنة ٤٥٩١ ـ وكذلك عقدت مع الولايات المتحدة الأمريكية في نفس العام اتفاق تسلح يترتب عليه إمداد الولايات المتحدة إياها بالعتاد الحربي، كفالة لأمنها ومساهمتها في كفالة السلام العالمي، كما يمنح الولايات المتحدة حق إنشاء قواعد في أراضيها.

فمصالحها مرتبطة بالغرب لكنها كذلك دولة شرقية إسلامية تتوسط الشرقين الأوسط والأقصى، ومصالحها فيها لا تقل عن مصالحها الغربية، تعدادها ٥٧,٠٠٨,٠٠٠ مليون.

٤- سيلان ـ تشبه سيلان باكستان. فمصالح سيلان السياسية مرتبطة بالغرب ارتباط مصالحها الاقتصادية. فهي حين استقلت داخل نطاق الكومنولث نص ميثاق الاستقلال بين سيلان وبريطانيا على المساعدات العسكرية اللازمة للأمن والدفاع ضد العدوان الخارجي، كما نص على أن تتولى بريطانيا تدريب الجيش السيلاني، وأن تنتفع بقواعد بريطانية برية وبحرية وجوية في أراضي سيلان، وعلى أن تحتفظ بقوات في هذه البلاد.

لكنها رفضت الاشتراك في حلف مانيلا أسوة بالهند وبورما وإندونيسية، ومؤتمر كولمبو التمهيدي لمؤتمر بجور عقد في عاصمة سيلان..

* * *

مضت هذه القوى جميعا إلى المؤتمر.. الكثيرون يريدون أن يتفقوا على العمل للمصالح المشتركة وقليلون جدًا يخفون الأفاعي وراء أغصان الزيتون.. ولكن أغصان الزيتون لا تخفي الأفاعي..

وقبل افتتاح المؤتمر بيومين كان الاتحاد السوفيتي قد أرسل مذكرة يحتج فيها على محاولة فرض أحلاف عسكرية على شعوب الشرق الأوسط والأدنى وأشار ببسالة لمقاومة مصر وسوريا لهذا الضغط الاستعماري. وفضح الاستفزازات الإسرائيلية.

* * *

افتُتح المؤتمر يوم ٨١ أبريل سنة ٥٥٩١ في جو مثقل بالأسف بعد فاجعة الطائرة الصينية، منتعش بالتفاؤل في نفس الوقت.. كان ذلك في التاسعة والثلث من الصباح، حيث اتخذ المندوبون أماكنهم وغصت الشرفات بالزوار، ورجال السلك السياسي. وفي الشوارع المؤدية إلى خارج المؤتمر كانت الحراسة شديدة، وكانت كثير من الدول المشتركة تعرض منتجاتها الصناعية.. ربما مر فلاح من إندونيسيا فرأى محراثًا ميكانيكيًا في إحدى واجهات

المحلات التجارية.. إنه لا يعرف أن هناك أشياء مثل هذا منذ عاش طوال حياته كما عاش عديدون على أرض آسيا وإفريقيا، يحرثون ويلقون البذور، ويأخذون الحصاد بأيديهم وبأدوات بدائية، كالتي استعملها أجدادهم منذ آلاف السنين، وفي داخل قاعة المؤتمر كانت همهمة من السخط والازدراء تلعن السفاحين الذين أحرقوا بمؤتمراتهم الوفد الصيني.. وكان هناك بعض المندوبين قد نظموا مؤتمرات صحفية قبل عقد المؤتمر.

كان مندوب العراق ومندوب الفلبين ومندوب سيام وباكستان، وبعض البلاد الأخرى التي تربطها بأعداء المؤتمر أحلاف عسكرية.. كانوا في هذه المؤتمرات قد صرحوا أنهم لا يوافقون على مبدأ التعايش السلمي، وأنهم يعارضون المبادئ الخمس للتعايش السلمي.. ومنها عدم التدخل في شئون دولة أخرى، وهذا منطقي لأن هؤلاء المندوبين يستمدون سلطاتهم في بلادهم من تدخل دول أخرى.. وأعلنوا ـ حسب تعليمات هذه الدول الأخرى أنهم جاءوا إلى باندونج ليناقشوا الاستعمار الشيوعي. أما السيادة والسلام وارتفاع مستوى المعيشة في بلادهم.. أما المبادئ والأهداف التي حددها البيان التمهيدي للمؤتمر، فهي لا تعنيهم. وهكذا فضحت العساكر الخشبية قبل أن تدخل إلى المؤتمر خدمة حصان طروادة.. وكانوا يروحون ويجيئون في عجلة ويترددون على مكتب المستر كليبتين بون عضو الكونجرس الأمريكي وصاحب النشاط المتزايد في أروقة المؤتمر، ومعه حشد ضخم من المراسلين الأمريكيين كانوا كلهم يثيرون أن هذا المؤتمر من الصفر والسود، إنما يجتمع ليعبر عن حقد لا حد له على الرجل الأبيض.. وكان معهم من يؤكدون هذه الدعايات.. كثيرون من الصفر والسود.. ومندوبو العراق أو سيام أو الفلبين بهذه المناسبة ليس فيهم رجل واحد.. أبيض!!

وكانوا يعلنون أنهم يثيرون قضية الحريات الداخلية في بلاد العالم كله.. والكهوف المظلمة في سجون العراق، والشوارع المطلية بدماء الشهداء هناك.. والمشردون والمطاردون في تركيا والفلبين والعراق وسيام.. والقوانين المفروضة على حرية الفكر والعقيدة والرأي.. والمذابح الهمجية والفظاعة التي لم يعرفها التاريخ وعاناها الوطنيون أعداء الأحلاف العسكرية في بغداد وأنقرة ومانيلا وكراتشي.. كل هذا والعديد غيره يقشعر منه البدن لا يدخل في باب الحريات الداخلية التي أصبح الجمالي المندوب العراقي من أبطالها فجأة.

وكان الجمالي قبل جلسة الافتتاح قد عقد مؤتمرات صحفية، هاجم فيها مبدأ التعايش السلمي، وتحدث عن القيم الروحية والدينية وحماية الحضارة.. لا من الأحلاف العسكرية أو الحرب، بل مما أسماه الاستعمار الشيوعي!! وكما أن سادته يختبئون وراء تمثال الحرية في نيويورك، فقد حاول الجمالي أن يختبئ وراء آيات القرآن، حاول أن يختفي وراء محمد.. فحشد في تصريحاته التي يدافع بها عن الحلف التركي العراقي كل ما ينفع ويشفع من الآيات

والأحاديث!.. إنه لم يعرف بعد أن الذين يملكونه هو، ويملكون الحلف لا يملكون الله والنبي أيضا..!

وعلى أية حال، وعلى الرغم من هذه الدوامات، لقد افتُتح المؤتمر ومواكب الفتيان والفتيات تتطلع من خارج القاعة في أمل إلى المستقبل الذي يمكن أن يصنعه المجتمعون.. وملايين وملايين من بسطاء الناس من الذين طحنتهم سنوات الفقر ونهشت قلوبهم الأزمة.. الذين يعدُّهم أصحاب الأحلاف الاستعمارية للذبح.. كل هؤلاء كانوا يتطلعون في ثقة.. ويعرفون أن الضمير والإرادة المخلصة وشرف المسئولية الوطنية سيغمر داخل قاعة المؤتمر كل فحيح آخر.

* * *

وامتلأت قاعة مارديكا بالزهور ونضارة الربيع البشري وشحنتها حرارة الآمال التي تنبعث من سكان ٣٠ وطن..

وافتتح الرئيس سوكارنو المؤتمر..

واقترح الرئيس جمال عبد الناصر انتخاب ستروميد جو رئيس وفد إندونيسيا رئيسا للمؤتمر.. وأيده الرئيس شواين لاي رئيس وفد الصين الشعبية.. ثم بدأت المناقشات.. بدأها رئيس وفد سيلان، وعقب عليه رئيس الوفد المصري...

* * *

قال الرئيس سوكارنو:

"إنه ليشرفني أعظم الشرف أن أرحب بكم باسم إندونيسيا".. ثم استطرد قائلاً: "إن هذا المؤتمر ينعقد باتفاق من كل دولة، على عداء للاستعمار، والتفرقة العنصرية، وفي عزمها على العمل جميعا لكفالة أمن العالم واستقراره، والمسائل المعروضة، إنما تتصل بمستقبل الجنس البشري بحياته أو بفنائه وعلينا أن نواجهها بشجاعة وحسم.

إن الاستعمار لم ينته، ولكنه اتخذ شكلاً آخر له يبدو بالتحكم الاقتصادي والنفاق ويبدو في السيطرة على شئون هذا العالم.. إن الحرب تهدد الاستقلال، وفيها القضاء المبرم على المدنية والجنس البشري، فلنعش ولندع غيرنا يعيش وليكن شعار المؤتمر؛ "لنعمل على خلق آسيا وإفريقيا خلقًا جديدا". ثم ختم خطابه بقوله: "لنضع نصب أعيننا ولنذكر أن أكبر نعم الله هي الحياة والحرية، وسيظل وضع البشرية مهينا ما بقيت شعوب بأسرها أو أجزاء منها غير حرة، ولنذكر أن أرفع هدف إنساني هو تحرير الإنسان مما يكبله في أغلال الخوف والهوان والفاقة التي عاقت تقدمنا زمنًا طويلاً.. من أجل ذلك يجب علينا نحن الآسيويين والإفريقيين أن نتحد".

وقضى المؤتمر جلسة بعد الظهر، وجلسة يوم ٩١ في سماع كلمات رؤساء الوفود، ثم انقسم إلى لجان تصوغ توصيات ُتعلن بعد ذلك في جمعية عامة، كقرارات تعرض على المؤتمر.

وقد كانت كلمات رؤساء الوفود تعبيرا "سليما" عن مواقفهم.. وأثار كل منهم في خطابه المسائل التي تعنيه، واتضحت من الخطابات أهداف كل وفد، والدور الذي يمكن أن يلعبه والروح التي جاء بها إلى المؤتمر.

وكانت اللجان مجالاً خصبا للمناقشات واشترط المؤتمر الإجماع في قراراته، وأن يؤلَّف جدول أعمال اللجان من:

١- التعاون الاقتصادي.

٢- التعاون الثقافي.

٣- حق الإنسان وتقرير المصير.

٤- مسائل الشعوب التابعة.

٥- التعاون والسلام العالمي.

* * *

وعلى الرغم من المصاعب التي أثيرت في اللجان المختلفة. فقد انتهى المؤتمر إلى قرارات حاسمة خيبت آمال كل الذين كانوا يأملون في فشله، ويعملون على تحطيمه من الداخل. وأثيرت اعتراضات على مسألة التعايش السلمي من الذين أقبلوا ليمثلوا دور حصان طروادة، وكان المؤتمر قد انتخب الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا للجنة التعايش السلمي.

وحاول مندوب باكستان ومندوب الفلبين أن يديرا دفة المؤتمر بمساعدة ممثل العراق.

وقوبلت خطاباتهم ببرود غريب، وتولَّى الرد عليهم الرؤساء عبد الناصر ونهرو وشواين لاي.. لم يتحدث واحد من المختبئين في حصان طروادة من المشاكل التي انعقد المؤتمر لبحثها.. لم يتحدثوا عن الأغلال والاستعمار، ولا عن التطور الاقتصادي الوطني، ولا عن التعايش السلمي.. وإنما تحدثوا عن الحريات الداخلية، وعن الاستعمار الشيوعي في بلاد أوربية لا علاقة لها بالمؤتمر.. ولقد أوشكوا عندما تمزقت حججهم، أن ينسحبوا من المؤتمر عرقلة له، ولكنهم بقوا لأن انسحابهم كما قالت إحدى الصحف التي تعبر عن لسانهم كان يعني أن تمضي آسيا وإفريقيا وحدهما وتعزل أمريكا وارثة الإمبراطورية البريطانية..

* * *

وأمام المواقف الرائعة التي اتخذها الرؤساء عبد الناصر ونهرو وشواين لاي ويونو رئيس بورما ورئيس إندونيسيا جوجو.. وأمام الاقتراحات الإيجابية التي تمثل حرصا لا يقاوم على سيادة شعوبهم، ويقظة أقوى من المؤامرة، لم ينسحب أحد واتفق كل أعضاء المؤتمر على الحد الأدنى من القرارات، وتراجع الذين اقتحموا المؤتمر داخل حصان طروادة، وأصبحوا في بعض المواقف كألواح من خشب الحصان.

قال رئيس وفد مصر: "إن التعاون بين أعضاء المجموعة الآسيوية الإفريقية يعتبر نقطة تحول نحو تحسين الموقف الدولي" وبعد أن تحدث عن مساوئ الاستعمار أعلن أن بقاء الاستعمار لا يتفق مع العهد الجديد للعالم، إذ أنه تجاهل للتقدم الإنساني، ومقاومة لقوانين التطور كما أنه من أسباب القلق الذي يسود العالم في عصرنا الحاضر. وبعد أن استعرض الرئيس جمال عبد الناصر حالة التوتر التي تسود العالم وحلل أسبابها، أعلن شروطًا خمسة لتحقيق السلام العالمي وهي:

أولاً : تنظيم التسلح وتحديد القوات المسلحة وتخفيضها والقضاء على الأسلحة ذات التدمير الشامل، وتحويل نفقات التسليح إلى رفع مستوى المعيشة للشعوب.

ثانيا : أن تصدر الأمم المتحدة قراراتها على أساس ميثاقها، فلو راعت الهيئة ذلك لما وقع بشعب فلسطين ذلك الظلم الذي يعد عدوانا وحشيا أثيما على المبادئ الإنسانية.

ثالثًا : احترام الدول التزاماتها الدولية بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة، وإعلان حقوق الإنسان والقضاء على التفرقة العنصرية التي تعتبر إخلالاً بهذه الالتزامات، بل إخلالاً بالعلاقات الودية بين هذه الدول.

رابعا : وقف أساليب الضغط السياسي التي تستخدمها الدول الكبيرة على الدول الصغيرة، لتحقيق أغراضها فوقفها أمر ضروري إذا أردنا أن نضع حدا للتوتر الدولي.

خامسا : تصفية الاستعمار إذ أن بقاءه لا يتفق وسياسة السِلم والتعاون بين الشعوب".

والرئيس عبد الناصر يضع على رأس الشروط الخمس لتحقيق السلام العالمي تحديدًا ـ وهو الرجل العسكري الذي يعرف ويلات الحرب أكثر من غيره ـ تنظيم التسلح والقضاء على الأسلحة الشاملة الإبادة.. إن هذه الصيحة الشريفة، هي صيحة ٦٥٠ مليونًا من أم وأب، وقَّعوا باسم مستقبل أطفالهم من جميع أنحاء العالم نداء مجلس السلام العالمي، لتحريم إنتاج استخدام وتجربة الأسلحة الذرية.. هي صيحة كل شرفاء الناس الذين يريدون أن يعيشوا وأن يتمتعوا بملذاتهم الصغيرة وحبهم وأملهم.. هي صيحة في وجه الدول الكبرى أن تخفض الأسلحة وتنظِّم التسلح، وسيجتمع باسم آمال هؤلاء الناس من كافة المذاهب والمبادئ مجلس

السلام العالمي، ليبحث - مع كل الرؤساء المخلصين الذين يحبون الإنسانية - عن طريقة

لتنظيم التسلح ووقف السباق الجنوني بين الدول الكبرى.

والمبادئ الأربعة الباقية التي وضعها الرئيس جمال عبد الناصر كشروط لتحقيق السلام العالمي، هي أيضا شروط لتحقيق العدل.. أن تراعي هيئة الأمم قراراتها على أساس ميثاقها تمهيدا لحل مأساة فلسطين.. إن تحقيق هذا الشرط يرفع عن ضمير حضارتنا وزر البشاعة التي ارتكبت بشعب فلسطين، على نحوٍ لم يعرف التاريخ مثله، حتى في أشد عهوده همجية.. حتى عندما كان الإنسان يلقي أمام أسد جائع ليتسلى إمبراطور ملول وداعرة صغيرة تبحث عن الإثارة.

أما الشرط الثالث فهو يرفع عن ضمير حضارتنا أيضا عارا آخر يثقلها.. إهدار حقوق الإنسان والتمييز في المعاملة على أساس اللون أو الجنس أو الدين.

أما الشرط الرابع والشرط الخامس، فهما باب المستقبل أمام شعبنا وأمام شعوب كل العالم.. والخيط الذي يمكن أن تختنق به الكراهية والأحقاد، لينطلق الحب من كل قلب وتشيع الابتسامة من كل فم، وتضيء في عيون الناس الذين يحبون حياتهم ثقة بالحياة، ويمارس الإنسان أمجد وأنبل ما فيه.. إن هذه الشروط الخمسة التي وضعها الرئيس جمال عبد الناصر هي تعبير عن إرادة الوطن والأمن العالمي.

ثم مضى الرئيس جمال عبد الناصر يعلن أن مصر تقف وقفة المدافع عن الحرية والرفاهية للشعوب، مؤيدة لمبدأ تقرير المصير، كما أنها تؤيد الأمم المتحدة بوصفها منظمة دولية تعمل لصيانة الأمن والسلام، ولو أن الدول العربية قد أسفت لأن هذه المنظمة لم تصدر قرارا عن احترام حقوق الإنسان، فيما يتعلق بشمال إفريقيا وفلسطين، وكذلك تؤيد مصر توسيع نطاق التعاون بين الدول الآسيوية الإفريقية، إذ من شأن هذا التعاون أن يخفف حدة التوتر الدولي الحالي، ويساعد على دعم السلام ونشر الرخاء والرفاهية في العالم.

وقال: "على أي أساس يستطيع إنسان أن يستسيغ أن أقطار شمال إفريقيا، التي ظلت قروناً مستقلة ومقرا للعلم والعرفان والحضارة العريقة، تنحط مرتبتها إلى حد أن تصبح مناطق لا تتمتع بالحكم الذاتي؟! أتتفق هذه السياسة مع السلم والتعاون بين الشعوب..؟"

وختم الرئيس جمال عبد الناصر خطابه قائلاً: "ليس معنى السلم مجرد انعدام الحرب.. إنه يستوجب جهودا متضافرة متواصلة لتهيئة جو من الاستقرار السياسي، والنمو الاقتصادي والعدالة الاجتماعية، وكلها مقومات لا غنى عنها لإنشاء مجتمع عالمي سليم".

"إن التعاون الذي اجتمعنا هنا من أجل تنميته بيننا، إنما يأتي بالغرض المقصود منه، إذا آمنا جميعا بضرورة تحقيق المبادئ الأساسية الآتية:

أولاً : يجب على كل دولة أن تحترم الاستقلال السياسي لكل دولة أخرى، وأن ترعى العدالة الإقليمية فيها، وألّا تتدخل في شئونها.

ثانيا : لكل دولة الحق في أن تختار ما تراه صالحا لها من النظم السياسية والاقتصادية.

يقيني أنه ما دامت هذه الأغراض والمبادئ رائدنا، فلسوف يحقق لنا هذا المؤتمر الوصول إلى اتفاق على ما يعرض فيه من مقترحات وخطوات عملية، من شأنها إيجاد التعاون المنشود بين بلادنا، ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا..."

* * *

أما رئيس الوفد العراقي الدكتور فاضل الجمالي فقد تحدث طويلاً عن الحضارة البشرية وعن الملاءمة بين المادة والروح والعلم والفن والدين وهاجم الاستعمار "الفرنسي في شمال إفريقيا" وعن التمييز العنصري في جنوب إفريقيا"، ثم تحدث في بضعة سطور عن الصهيونية، ثم مضى إلى جوهر خطابه فقرأ الصفحات الطوال عن سبب القلق والاضطراب في العالم اليوم وهي الشيوعية.. أو كما قال: ونتحدث عن المسلمين في التركستان وعن الحريات الداخلية في كل من بولندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا، وقال "إن الاستعمار خير من الشيوعية" ونادى باسم الحضارة والثقافة دول المؤتمر أن تتدخل لقلب نظام الحكم في كل من رومانيا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا، ولإنقاذ التركستان "وهي جمهورية سوفيتية" من السيطرة الروسية، ثم قرأ الصفحات الطوال في أهمية انضمام دول المؤتمر إلى جماعة التسلُّح الخُلقي الأمريكية، وطالب بما سماه نزع السلاح الأيديولوجي.

* * *

أما صديقه السيد محمد علي رئيس وفد باكستان، فقد تحدث طويلاً عن ضرورة الاهتمام بالقيم الأخلاقية.

أما السيد روملو رئيس وفد الفيلبين، وهو الشريك الثالث، فقد وضع أول مسألة أمام المؤتمر هي مسألة كفالة الحرية السياسية.

* * *

وتضمن خطاب السيد خالد العظم رئيس وفد سوريا ردا "شاملاً" بالإشارة إلى الحملات السابقة وقرر أن الدول، كبيرها وصغيرها سواء أمام الشريعة الدولية، وأن كل دولة مهما كان شأنها سيدة في أرضها.. سيدة في تقرير مصير شعبها.. سيدة في اختيار السياسة التي تمليها

عليها مصالحها الوطنية العليا، وليس لأية دولة أقوى أي حق في السيطرة عليها، أو التدخل في شئونها، ولنا وحدنا أن نختار وسنقاوم كل تدخل في أمورنا بجميع الوسائل التي نملكها، وعلى هذا فلا حاجة لنا إلى الانضمام لأحلاف عسكرية أو تكتلات. وأشار إلى أن السلام لا يتجزأ، وأنه لا سلام مع وجود الاستعمار، وضرب أمثلة للقضايا المهددة للسلام.. قضية فلسطين التي انتزعتها إسرائيل وقضية المغرب العربي.

أما السيد فطيم زورلو رئيس وفد تركيا فقد قال ردا على كل الدعوات المخلصة، وعلى كل الانتصارات التي حققتها الشعوب المنضمة للمؤتمر: "إن هناك خطرا شيوعيا على تركيا وهناك أسباب مهددة للسلام، أدت إلى اجتماع الدول المحبة للسلام في حلف الأطلنطي، وأقرت الدول المحبة للسلام ميثاق البلقان، والحلف التركي الباكستاني والحلف التركي العراقي، وحلف جنوب شرقي آسيا".

* * *

وخطب الرئيس شواين لاي رئيس الوفد الصيني بعد دفاع تركيا المجيد عن قواعد القنابل الذرية، وعن كل الأحلاف العسكرية العدوانية التي عقدت تحضيرا للحرب، وتدعيما للسيطرة الأجنبية على شعوب الشرق الأوسط والأدنى، فقال شواين لاي: "لم تعد آسيا وإفريقيا اليوم كما كانت بالأمس، فقد أصبحت دولاً كثيرة فيهما بعد سنوات من الجهاد تقرر مصيرها بنفسها، ومؤتمرنا هذا يعكس هذا التطور التاريخي الضخم، ومع ذلك فما زالت شعوب كثيرة إفريقية وآسيوية تحيا في ربقة العبودية الاستعمارية، وتخضع للتمييز العنصري وتحرم من حقوق الإنسان. ولئن اختلفت وسائل الشعوب الآسيوية والإفريقية في كفاحها للحرية والاستقلال فإن رغبتنا في المحافظة على حريتنا واستقلالنا واحدة لا تختلف. وعلى الرغم من اختلاف الأحوال في بلادنا فإن من الضروري أن نصفي آثار التأخر التي تركها الاستعمار ويجب علينا أن ننهض ببلادنا تلبية لرغبة شعوبنا، وبدون أي تدخل أجنبي. إن دولاً كثيرة في آسيا وإفريقيا قد أيدت كفاح الشعب المصري لاستكمال سيادة قتال السويس، وكفاح الشعب الإيراني لاسترداد الأقاليم المتقطعة منه، وهذا دليل على أن شعوب آسيا وإفريقيا تفهم شئون بعضها، وأود أن أتحدث عن النظم المختلفة، فقد جاء الوفد الصيني إلى المؤتمر من أجل الوحدة لا ليثير المنازعات.. ونحن الشيوعيون لا نخفي الحقيقة، ونعتبر النظام الاشتراكي نظاما أفضل، ولكننا لم نجيء إلى هنا لنقوم بالدعاية لأنظمتنا أو مبادئنا. إن الوفد الصيني جاء إلى هنا من أجل مصلحة عامة لكل الشعوب، ولم نفكر قط في أن نثير أية مسألة يمكن أن تكون محل خلاف.. ذلك أننا لا نريد للمؤتمر أن يبحث أمورا لا يتفق بالإجماع على وضع حلول لها. ولذلك فلم نحاول أن نثير مسألة الاعتراف بالصين الشعبية، وحقها في مقعدها

بالأمم المتحدة، ولا التوتر الذي خلفته الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة تايوان "فرموزا"، ولا أن نثير المعاملة غير العادلة للصين.. وإننا لنعترف أن اختلاف النظم بين البلاد الآسيوية لا يمنعنا من العمل بوحدتنا. أما عن حرية الدين فنحن نحترم العقائد الدينية، ونرجو من أصحاب العقائد خارج الصين أن يبادلوننا هذا الاحترام.

وفي الصين عشرات الملايين من المسلمين والبروتستانت والكاثوليك والبوذيين، والوفد الصيني يضم أحد أئمة المسلمين، أما موضوع الأعمال الهدامة، فإن المشكلة ليست كما قيل أننا نقوم بأعمال هدامة ضد حكومات دول أخرى، بل إن فئة من الناس تركز القواعد الحربية حول الصين لتقوم بأعمال تخريب ضدنا. وتشان كاي تشيك ما زال يستخدم من يقوم بالتخريب ضد بلادنا. وجمهورية الصين الشعبية على استعداد لحل الجنسية المزدوجة للصينيين مع حكومات البلاد المختلفة. ولا تزال توجد على حدود الصين وبورما فلول مسلحة من أتباع كاي شيك تقوم بأعمال التخريب ضد الصين وبورما، وليس للصين أي هدف لتغيير نظم الحكم في البلاد المجاورة، بل على العكس فإن الصين هي التي تقاسي من أعمال الهدم المكشوفة التي تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية. ونحن نرحب بزيارة كل الذين يخالفوننا في الرأي ليشاهدوا بأنفسهم كل الحقائق. نحن نرحب بزيارة كل المندوبين الموجودين في هذا المؤتمر في الوقت الذي يروق لهم، ليس للستار الحديدي وجود في الصين، ولكن بعض الناس ينشرون سحب الدخان بيننا لكي لا يرى بعضنا بعضا..".

* * *

وانتقل هذا الصراع إلى لجان المؤتمر.. وكانت اللجنة السياسية هي مسرح أخطر المنازعات، فقد صمم رؤساء وفود سيلان وباكستان والعراق وتركيا على إثارة أمور ليست في جدول الأعمال بهدف تحويل اتجاه المؤتمر وتصدى للرد على هذا التيار رؤساء مصر، الهند، بورما، إندونيسيا، الصين. حدث هذا في اللجان التي تفرعت من اللجنة السياسية "لجنة التعايش السلمي" برياسة جمال عبد الناصر. كما حدث في الاجتماع العام للجنة السياسية.

عندما عرضت مسألة الاستعمار في اللجنة قال رئيس وفد سيلان: "يوجد نوع من الاستعمار لا يعرف عنه الحاضرون شيئًا. تصوروا مثلاً حال البلاد الخاضعة للسيطرة الشيوعية مثل المجر ورومانيا وبلغاريا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا ـ؟ "وسيلان قاعدة عسكرية أمريكية" واقترح مندوب تركيا إدراج المسألة في جدول الأعمال وأيده شارل مالك. وكان شارل مالك من معارضي فكرة التعايش السلمي لأنها فكرة شيوعية لينينية، وكان مصمما على مناقشة الحريات السياسية الداخلية في كل بلاد العالم قبل وأهم من التحدث في التعايش السلمي، ودارت مناقشات حادة بين شواين لاي من ناحية وبين كل من مندوب تركيا وسيلان

ولبنان، وانتهى الاجتماع أثناء مناقشة عنيفة بين مندوب سيلان وشواين لاي. وفي الجلسة التالية تكلم بونو رئيس وفد بورما فقال: إن المؤتمر يبحث النقاط المتفق عليها في البيان التحضيري الذي وجهت به الدعوة، وتضمن برنامجا التزمته الحكومات المشتركة. وقال: إن المؤتمر لا يبحث المذاهب السياسية. وطلب من الأعضاء الامتناع عن استفزاز بعضهم. وأعقبه شواين لاي فقال: إننا لم نأت إلى هنا لمناقشة مذاهب سياسية وليس البحث في المذاهب السياسية من بين أهداف المؤتمر، ثم أشار إلى حدة مندوب سيلان وطريقته المستفزة، وقال: إن وصف دول أوروبا الشرقية بأنها مستعمرات شيوعية قول لا صحة فيه، فأهل تلك البلاد اختاروا حكوماتهم بأنفسهم فضلاً عن أن من الخير احترام وجهة نظر الصين، بالامتناع عن المناقشة في موضوع كهذا، في مثل هذا المؤتمر، ورجائي هو الموافقة على رأي الرئيس بونو رئيس وفد بورما بالبحث فقط فيما يهمنا جميعا نحن الشعوب الآسيوية والإفريقية، وعرض اقتراحا بقرار تأييد كفاح البلاد التي لم تستكمل استقلالها في آسيا وإفريقيا، ومطالبة الدول التي تملك المستعمرات في القارتين أن تعمل على منحها الاستقلال خلال مدة معينة. واقترح تأليف لجنة لدراسة وسائل تحقيق هذا الهدف. ولكن مندوب باكستان قال مؤيدا مندوب سيلان أن كلام زميله ـ في الحلف ـ ليس موجها ضد الصين بل ضد الاتحاد السوفيتي، ويجب مناقشة الاستعمار السوفيتي. غير أن خالد العظم مندوب سوريا وقف يرجو الأعضاء ألا يثيروا أسبابا للخلاف، وأنه يؤيد شواين لاي وبونو في عدم مناقشة المذاهب السياسية. واعترض الدكتور فاضل الجمالي وزولو مندوب تركيا وقالا: إن من رأيهما أن يبحث المؤتمر الآسيوي الإفريقي مسألة كفالة الحرية لجميع الشعوب، وعرض مندوب تركيا مشروعا بالنيابة عن تركيا والعراق وباكستان وإيران ولبنان والفلبين وليبيا وليبريا، وعارضت الأغلبية المشروع. فاضطر إلى سحبه وقدم مشروعا آخر باسم نفس البلاد، وكلا المشروعين يبدأ بالنص على الإيمان بالكرامة والقيمة الإنسانية وحق الشعوب في التمتع بالحرية والاستقلال وبالتهديد بالسيطرة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والذهنية والروحية والاستعمار المعتمد على الحركات الهدامة "البلاد التي قدمت المشروع كلها مرتبطة بأحلاف عسكرية أو بمعونة اقتصادية مشروطة، أو بها قواعد عسكرية أجنبية تابعة للغرب" وعندما وقف مندوب تركيا يدافع عن مشروعه الذي قدمه باسم العراق وتركيا والباكستان ولبنان وليبيا وإيران.. ووقف نهرو ينتقد المشروع بشدة وينتقد ما قاله مندوب سيلان. وقال: إن إثارة هذه المسألة كانت خروجا على النظام، ولكني أتحدث فيها لأنها أثيرت، لما في ذلك من فائدة، ثم أبدى عجبه من زعم أن دول شرق أوروبا خاضعة للاتحاد السوفيتي قائلاً: إنها دول مستقلة وبعضها عضو في الأمم المتحدة فكيف تعدها مستعمرات مع أن بيننا وبينها تبادلاً في التمثيل السياسي. وقال: إن هناك في آسيا وإفريقيا مناطق مستعمرة عديدة أغفلها مندوب سيلان". واستطرد قائلاً: إن

جري الأمم الآسيوية وراء عجلة الدول الكبرى يعتبر مظهرا للمذلة، وعرض بانضمام الباكستان ومقدمي القرار بالأحلاف العسكرية الأجنبية، واتهم حلف الأطلنطي بأنه السبب الأكبر في الاستعمار.. وهنا قام الرئيس جمال عبد الناصر وقدم مشروع قرارٍ مشتركٍ بالتضامن مع نهرو باسم مصر والهند، يقضي بالنص على حق تقرير المصير، والتنديد بجميع أنواع الاستعمار. وخرج مندوب الباكستان من الجلسة، وظل يطوف في أروقة المجلس وتبعه بعض زملائه ومروا على بعض المكاتب وتناقشوا طويلاً مع بعض المبعوثين والدبلوماسيين الغربيين ومع عضو الكونجرس.. ربما للبحث عن مشروع قرار أكثر ذكاء..

وعندما اجتمعت اللجنة السياسية لتبحث أمر التعايش السلمي، وقف مندوب تركيا يعلن أن تركيا لا تؤمن بمبدأ التعايش السلمي، وتشكك في قيمة المبدأ.. فسأل نهرو: أيجب إذن على دول العالم أن ترتبط بالأحلاف العسكرية؟ وأن تتعرض لأخطار القنابل الذرية؟ ثم انتقد الأحلاف التي اشتركت فيها تركيا، وانتقد الأحلاف العسكرية والغربية التي اشتركت فيها باكستان قائلاً: "إن من شأن تلك الأحلاف أن تؤدي إلى الحرب"، فاحتد محمد علي رئيس وفد الباكستان يقول: إن بلاده مستقلة وذات سيادة من حقها أن تفعل ما تشاء. فرد نهرو بأن من واجب الدول الآسيوية والإفريقية أن تبذل كل ما في وسعها لتمنع وقوع الحرب، وأن ترفض الدخول في أحلاف عسكرية، ثم تحدث عن الأسلحة الذرية وعرض مشروع قرار بمنع إنتاج الأسلحة الذرية. وهكذا استمرت المناقشات في اللجان. وطالبت إندونيسيا بإصدار قرار بمطالبة الأمم المتحدة قبول الصين، ولكن المشروع استبْعد.

وعقدت لجنة التعايش السلمي ونزع السلاح برئاسة جمال عبد الناصر، وقدم مشروعا بتحقيق السلام والتعاون وتصفية الاستعمار وهو:

"إن المؤتمر الآسيوي ــ الإفريقي، وهو مدرك مدى التوتر الدولي السائد في الوقت الحاضر، ومهمته تنمية التعاون الدولي والوفاق بين الدول، ومعترف برغبة شعوب العالم وحاجتها إلى سلام دائم مكين ــ يعلن الشروط والمبادئ التالية باعتبارها أسسا لتنمية السلام في المناطق الآسيوية الإفريقية، وفي العالم أجمع ولتقدم التعاون الدولي والوفاق العام.. وهي:

١- إنجاح الجهود التي تبذلها الأمم المتحدة في سبيل تنظيم تحديد وتخفيض جميع القوات المسلحة والأسلحة، وكذلك في سبيل القضاء على الأسلحة ذات التدمير الشامل.

٢- تطبيق جميع أعضاء الأمم المتحدة لميثاقها وروحها، واحترام مبادئها.

٣- الاحترام الكامل من جانب الدول لالتزاماتها الدولية.

٤- إنهاء سياسة القوى الكبرى، واتخاذها الأمم الصغيرة أدوات لخدمة مآربها.

٥- تصفية الاستعمار الذي كان دائما مصدر النزاع وعدم الاستقرار.

٦ - احترام كل بلد من البلدان الاستقلال السياسي وأراضي ووحدة كل بلد آخر، والكف عن التدخل في الشئون الداخلية لغيرها.

٧ - الاعتراف بحق كل بلد في الاختيار الحر لنظمه السياسية والاقتصادية.".

* * *

وجاء في خطاب الرئيس جمال عبد الناصر:

"إن بلادي وهي مخلصة لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة، أيدت دائما جميع الجهود التي تهدف إلى تنمية التعاون الدولي والوفاق العالمي، وفي سبيل تلك الغاية، لم تربط مصر نفسها بأيٍّ من الكتلتين في الحرب الباردة، إيمانًا بأن مثل ذلك الارتباط يزيد التوتر بدلاً من أن يخففه.".

"وفي سبيل تلك الغاية كذلك، وقفت بلادي مخلصة للدفاع من المبادئ التي يعتبر احترامها هو السبيل الوحيد إلى سلام وطيد دائم".

"ومن أجل ذلك المقصد البنَّاء، وبروح التوفيق، أقدم ملاحظاتي على الموضوع المطروح أمامنا للبحث، وهي:

أولاً : أن التعايش السلمي كثيرا ما يفهم على أنه التعايش السلمي بين الدول الكبرى.. وهذا أمر له ما يبرره، نظرا لأن السلام العالمي يعتمد بادئ ذي بدء على الدول الكبرى، وعلى مدى تصميمها على صيانة السلم والأمن الدوليين، ومع هذا، وعلى الرغم من أهمية التعايش السلمي بين الدول الكبرى فإن هناك أنواعا أخرى للتعايش السلمي يجب الدعوة إليها والعمل في سبيلها، إذا أردنا للسلام العالمي وللتعاون الدولي أن يصبحا حقيقة مثمرة. فيجب أن يقوم تعايش سلمي بين الدول الكبرى والدول الصغرى وتعايش سلمي بين الدول الاستعمارية والشعوب المستعمرة.

ثانيا : يقتضي هذا التعايش السلمي، المتعدد الجوانب أن يتوفر لكل نوع منه شروط معينة، لا يمكن أن يصبح بدونها فعالاً.

ففيما يتعلق بالتعايش السلمي بين الدول الكبرى، عليها أن تجدد جهودها في سبيل تسوية خلافاتها، وفي سبيل إقامة سلم دائم. وهذا يقتضيها أن تصل إلى تسوية سلمية لمشاكل عديدة لا تزال معلقة، ولا تزال تعرقل التعاون الدولي.

ومن بين هذه المشاكل، عقد معاهدات الصلح مع الدول المعادية السابقة وتخفيض الأسلحة، وحظر الأسلحة الذرية ذات الدماء الرابع وأحكام الإشراف عليها، وضم عشرين دولة إلى الأمم المتحدة تقدمت بطلبات ولم تُقبل بعد. أما التعايش السلمي بين الدول الكبرى والدول الصغرى، فإنه يقتضي أن تضع الدول الكبرى نهاية لألاعيب سياسة القوة، وأن

تعترف وتحترم حق الدول الصغيرة في اتباع سياستها الداخلية، وفي حقل تحقيق التعاون الدولي، دون أي تدخل.

وعلينا أن نهتم كذلك، ونعني عناية كافية، بالتعايش السلمي بين الدول الاستعمارية والشعوب التابعة، والحقيقة البينة هي أن صيانة السلام تقتضي تعاون جميع شعوب العالم".

* * *

عود إلى اللجنة السياسية:

وقد عادت اللجنة السياسية إلى الاجتماع في يوم ٣٢ أبريل لمواصلة بحث البند الخاص بالسلم العالمي والتعاون السلمي بين الدول، ومكافحة الاستعمار. وانتهت مناقشاتها بتأليف لجنة فرعية من مصر، والهند، وبورما، وباكستان، وسيلان، وليبريا، والفلبين، وكمبوديا، لوضع مشروع قرار خاص بالتعايش السلمي.

وألقى شواين لاي رئيس وزراء الصين الشعبية، خطابا مطولاً استغرق ثلاثة أرباع الساعة تحدث فيه عن التعايش السلمي وحالة التوتر الدولي.

وأعلن أن الشعب الصيني لا يريد محاربة الولايات المتحدة، وقال: إن الحكومة الصينية راغبة في الاجتماع بحكومة الولايات المتحدة للتفاوض معها، لتخفيف حدة التوتر في الشرق الأقصى بوجه عام وفي "فرموزا" بوجه خاص.

وقال شواين لاي: إن الصين الشعبية لا تنوي التدخل في شئون الدول الداخلية، وأنها على استعداد لاسترجاع أي صينيين قد يدخلون أي بلاد مجاورة. كما أكد أن الصين الشعبية لن تعتدي على السيادة الإقليمية لأي بلد من البلاد. وأنها تريد أن ترتبط بعلاقات الصداقة مع جميع الأقطار بما في ذلك الولايات المتحدة واليابان، وأنها على استعداد لقبول الجهود التي تُبذل في أية جهة للمساعدة على إقامة مثل هذه العلاقات.

وأعلن أنه قد دعا مندوبي تايلاند ولاوس وبورما، وهي الدول المجاورة للصين في الجنوب على زيارة الصين ليروا بأنفسهم الحالة على الحدود..

وقال: إن شري نهرو أبلغه أن سير أنطوني أيدن، رئيس وزراء بريطانية يوافق على مبادئ التعايش السلمي الخمسة. والصين الشعبية على استعداد للاتفاق مع بريطانيا على أساس تلك المبادئ وهي:

أولا : احترام الاستقلال والسيادة.

ثانيا : الكف عن الاعتداء.

ثالثًا : تجنب التدخل في الشئون الداخلية.

رابعا : المساواة والنفع المتبادل.

خامسا : العيش في سلام جنبا إلى جنب.

ومضى في خطابه، فهاجم الأحلاف العسكرية الغربية، وحذر من مغبة الاستمرار فيها. إذ قد تجد الصين الشعبية نفسها مضطرة ـ عندئذ ـ إلى التفكير في عقد مثل هذه الأحلاف مع البلاد الصديقة للوقوف ضد أي عدوان.

الـفـصـل الـثـالـث

فهرس

بعد أيام طويلة من العمل الدائب المستمر.. أيام عصبية مشحونة بالتوتر وباليأس والاستقرار والحكمة والأمل.. بعد أيام لن ينساها التاريخ أذيعت قرارات مؤتمر باندونج.. لتكون علامة طريق جديد إلى المستقبل. من المؤامرات التي وصلت إلى حد القتل.. على الرغم من محاولة تفرقة الدول العربية، وعلى الرغم من النشاط المحموم الذي بذله في الخطوط الخلفية.. فلم تستطع كل المحاولات وكل الدعاوى أن تمنع المجتمعين من الوصول إلى اتفاق.... وحتى محاولة الفصل بين قضية السلام والحرية. لم تفلح هي الأخرى كمناورة لإفشال المؤتمر.. ونفذها في الخطوط الخلفية مزيفون كثيرون يعرفهم الناس في مصر، ويحاولون أن ينقذوا أنفسهم ـ بعد الأوان ـ بالحديث الطيب عن باندونج.

اتفق المجتمعون على قرارات موحدة على الرغم من كل شيء، والتزموا احترام هذه القرارات. ومنذ أذيعت هذه القرارات.. أي منذ عام كامل، لم يتم اجتماع سياسي إلا وجعل باندونج دستوره..

ففي بيان بولجانين ونهرو، وفي بيان تيتو وعبد الناصر، وفي مؤتمر هلسنكي، كانت راية باندونج تخفق دائما، وكأن قبسا من باندونج يضيء الكلمات الطيبة..

ذلك أن قرارات باندونج لم تكن مجرد حدث تاريخي.. أو مجرد تحول تاريخي خطير فحسب.. ولكنها إلى جانب هذا كله كانت إعلانا شريفًا لإرادة الذين يملكون مصير هذا العالم..

فقد اتفق أغلب سكان العالم.. عن طريق حكوماتهم ـ هذه المرة ـ على أن يصونوا الحياة ومستقبل العالم، وعلى أن يحققوا لأنفسهم شروطًا أكثر إنسانية للوجود..

حقًا.. كانت قرارات المؤتمر تعبيرا عن اتفاق حكومات دول تضم أغلبية سكان العالم على التعاون الاقتصادي فيما بينها، ومع جميع دول العالم على أساس المصلحة المتبادلة واحترام السيادة القومية.

وتضمنت هذه القرارات الاتفاق على أمور أخرى عديدة، كان الاتفاق عليها من قبل يتعثر بمصالح الاستعمار ومناورات العملاء، ولكنه في باندونج استلهم المصالح الوطنية للشعوب الآسيوية والإفريقية..

وقد تضمنت القرارات:

- توسيع التبادل التجاري وتبادل المعلومات الفنية.
- استخدام الطاقة الذرية للأغراض السلمية.
- التعاون الثقافي الواسع بين البلاد المشتركة التي تعتبر مهد الأديان والحضارات العظيمة، وبين كافة بلاد العالم الحديث..

ولاحظ المؤتمر أن وجود الاستعمار يحارب الثقافة الوطنية للشعوب، ويحول دون التعاون مما يعرقل تطور شخصية العرب "شمال إفريقيا الاستوائية، واستنكر المؤتمر هذا العدوان على الحقوق الأساسية للإنسان في مجال الثقافة والتعليم، مما يشكل اضطهادا عنصريا تعانيه كثير من شعوب آسيا وإفريقيا.. وقرر المؤتمر وهو مخلص للتقاليد القديمة في التسامح، أن التعاون الثقافي الآسيوي الإفريقي يجب أن ينمو في النطاق الأوسع، ومن شأن ذلك المساعدة على حماية السلام والتفاهم الدولي فضلاً عن أنه يفني الثقافات الإنسانية جميعا.

- كفالة حق تقرير المصير، واستنكار سياسة التفرقة والتمييز العنصري الذي تقوم عليها أسس الحكم في كثير من بلاد العالم.

- إعلان أن الاستعمار في جميع مظاهره شر يجب وضع نهاية عاجلة له. -

تأكيد أن خضوع الشعوب للاستعمار والسيطرة والاستغلال الأجنبي إنكار لحقوق الإنسان الأساسية، ومناقض لميثاق الأمم المتحدة، ومعرقل لتنمية السلم والتعاون الدولي. -

تأييد قضية الحرية والاستقلال لجميع الشعوب، ودعوة الدول المعنية إلى منح الحرية والاستقلال الشعوب المعتدى عليها.

- تأييد شعوب شمال إفريقيا ومطالبة الحكومة الفرنسية بأن تعترف على الفور بحقوق الجزائر وتونس ومراكش.

- تأييد حقوق شعب فلسطين العربي، والدعوة إلى تطبيق قرارات الأمم المتحدة وإلى تحقيق التسوية السلمية لمشكلة فلسطين، ذلك أن التوتر القائم في الشرق الأوسط ناشئ عن الموقف في فلسطين. -

نزع السلاح وتحريم إنتاج الأسلحة الذرية والهيدروجينية وتجربتها واستخدامها كضرورة لإنقاذ البشرية والحضارة من هول الدمار الشامل، ومطالبة جميع شعوب آسيا وإفريقيا أن تنهض بواجبها أمام البشرية والحضارة بالعمل على تجنب الكارثة، وتحقيق رقابة دولية فعالة على الهول الذري والهيدروجيني.

- إعلان توكيد السلام والتعاون العالميين:

وفي هذا الشأن:

"بحثَ المؤتمر الآسيوي الإفريقي، في عناية، موضوع السلام والتعاون العالميين. وراقب في اهتمام بالغ، حالة التوتر الدولي الراهنة، وما تنطوي عليه من خطر حرب ذرية عالمية، ولما كان موضوع السلام وثيق الصلة بموضوع الأمن الدولي، فيجب أن تتعاون الدول كلها، وخاصة عن طريق الأمم المتحدة، لتحقق خفض المتسلح وتحريم الأسلحة الذرية بإشراف

رقابة دولية فعالة. وبهذا يتقدم السلام العالمي، ويمكن أن تستخدم الطاقة الذرية في المقاصد السلمية دون سواها. ومن شأن ذلك أن ييسر الحصول على مطالب الحياة، وخاصة في آسيا وإفريقيا، إذ تمس حاجتها إلى التقدم الاجتماعي وإلى مستويات أعلى للحياة مع حرية أعظم، فالحرية والسلام مرتبطان، وحق تقرير المصير يجب أن يمنحا بأسرع ما يستطاع لتلك الشعوب التي لا تزال غير مستقلة.

ومن الطبيعي أن يكون لجميع الأمم الحق في أن تختار، بحرية، نظمها السياسية والاقتصادية وطريقة حياتها، وفقًا لأغراض ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة، وبالتحرر من الشك والخوف، وبالثقة وحسن النية المتبادلتين، يجب على الأمم أن تمارس التسامح، وأن تعيش معا في سلام جيرانا صالحين يعملون لتمكين التعاون الصادق على الأسس الآتية:

١- احترام حقوق الإنسان الأساسية، وأغراض ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة.

٢- احترام سيادة جميع الأمم وسلامة أراضيها.

٣- الاعتراف بالمساواة بين جميع الأجناس، وبين جميع الأمم كبيرها وصغيرها.

٤- الامتناع عن أي تدخل في الشئون الداخلية لبلد آخر.

٥- احترام حق كل أمة في الدفاع عن نفسها انفراديا أو جماعيا، وفقًا لميثاق الأمم المتحدة.

٦- الامتناع عن استخدام التنظيمات الدفاعية لخدمة المصالح الذاتية لأية دولة من الدول الكبرى.

امتناع أي بلد عن الضغط على غيرها من البلاد.

١- تجنب الأعمال أو التهديدات العدوانية أو استخدام العنف ضد السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسي لأي بلد من البلاد.

٢- تسوية جميع المنازعات الدولية بالوسائل السلمية، مثل التفاوض أو التوفيق أو التحكيم أو التسوية القضائية، أو أية وسيلة سلمية أخرى تختارها الأطراف المعنية وفقًا لميثاق الأمم المتحدة

٣- تنمية المصالح المشتركة وبالتعاون المتبادل.

٤- احترام العدالة والالتزامات الدولية.

ويعلن المؤتمر الآسيوي الإفريقي عن إيمانه بأن التعاون الصادق، فوق هذه المبادئ، يؤدي حقًا إلى كفالة السلام والأمن العالميين وتوطيد أركانهما، كما أن التعاون في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية يؤدي إلى الازدهار العام والخير الشامل".

عندما أعلنت هذه القرارات استقبلتها كل القوى الشريفة في العالم بترحاب كبير.. أما الذين يعملون من أجل تخريب المؤتمر فلم يعد في وسعهم إلا أن يذعنوا.. وإذا كانت السياسة الاستعمارية تحاول دائما أن تقطع الطريق على الشعوب، فإذا لم تفلح دست نفسها في الزحام تحت أية راية.. إذا كانت السياسة الاستعمارية عريقة في هذا الدور فقد بدأت بعد باندونج تلعب الدور نفسه..

ولعل هذا يفسر لنا الكثير مما نراه في أيامنا هذه.. فبعد أن استمرت قيادة باندونج في طريقها المظفر، هدأت حدة العملاء.. وبدأ بعضهم يمدح باندونج.. ولكن بشرط.!

ولا ريب أن من المفيد هنا أن نبين صدى المؤتمر في جميع الجهات.

ونلخص عن تقرير الجامعة العربية ما يلي:

في الدوائر العربية:

١- أجمعت الدوائر العربية على التقدير الحق لما أحرزته القضايا العربية جميعا من تأييد المؤتمر الآسيوي الإفريقي، سواء في ذلك قضايا فلسطين وشمال إفريقيا والجنوب اليمني ومناطق شبه الجزيرة العربية، وأجمعت الوفود العربية لدى المؤتمر على تقرير نجاحه، وألقى رؤساءها تصريحات خلاصتها؛ أن المؤتمر أتى برهانًا على يقظة الشعوب الآسيوية والإفريقية وتضامنها في خدمة الحرية والسلام، وأن نجاحه تجاوز تقديرات المتفائلين. فقد دلَّ على أن أكثر من نصف سكان العالم يؤيدون قضية السلام العالمي. وأمكن للمندوبين على الرغم مما بين بلادهم من اختلافات، أن يجدوا أسسا للاتفاق على المسائل الدولية والإقليمية، وهو في الواقع يعد نجاحا باهرا للعرب، فإسرائيل تجد نفسها مضطرة إلى قبول قرارات الأمم المتحدة والتسليم بحقوق عرب فلسطين، وقد عرف العالم نواياها العدوانية والاستعمارية، وقضايا شمال إفريقيا تأيدت، وحقوق أهلها في الحرية والاستقلال وتقرير المصير كسبت سندا قويا. وقضايا عدن والمحميات العربية نالت كذلك تأييد المؤتمر.

وقدم رؤساء الوفود تقارير لحكوماتهم منوِّهين بنتائج المؤتمر، واستفاض حديث الصحافة والإذاعة العربية عنه، مما يغني عن الاسترسال في هذا المجال.

"وكان لهذا المؤتمر دوِيٌّ هائل في إندونيسيا، إذ أجمعت الأحزاب السياسية والجماهير الشعبية على التمسك بمبادئه، وتأثرت أيما تأثير بما اتُخذ من قرارات، وزادت هذه الجموع الشعبية أملاً في الوصول إلى ما قررته تسع□ وعشرون دولة، خدمة للسلام، ورعاية لحقوق الإنسان على أساس التعايش السلمي والتعاون الاقتصادي والثقافي.

آراء نهرو:

"ويشير أحد البنود إلى الدفاع المشترك. والمجلس يعلم أننا نعارض أي حلف عسكري. وقد سبق أن قلت مرارا أن مثل تلك المواثيق، المبنية على توازن القوى ومفاوضة القوى وضم الأمم إلى المعسكرات المتنافسة ليست في نظرنا مما يؤدي إلى إقرار السلام.. وما زلنا نؤيد هذا الرأي. وتصريح باندونج يشير إلى الدفاع عن النفس، كما نص عليه ميثاق الأمم المتحدة ـ فالمادة الحادية والخمسون من الميثاق المذكور تقرر بوضوح حق كل دولة في الدفاع عن نفسها بمفردها أو باشتراكها مع غيرها".

"وأثار مؤتمر باندونج اهتمام العالم. فكان في بادئ الأمر موضع تندر وعدوان، ثم تحول بعد ذلك إلى حب استطلاع وأمل.. ويسرني أن أقول: إن الموقف قد تبدل في النهاية على حسن النية والصداقة، وقد بعث المؤتمر في جلسته الأخيرة بتمنياته إلى أصدقائنا في نيوزيلندا واستراليا الذين لا نضمر لهم إلا الشعور بالصداقة، مثلما نضمر لسائر العالم. وهذه هي رسالة المؤتمر الآسيوي الإفريقي والروح الحقيقية التي تسود الأمم التي نالت استقلالها حديثًا. أما أولئك الذين لم ينالوا استقلالهم بعد، وما زالوا يكافحون من أجل حريتهم، فإن مؤتمر باندونج قدم إليهم تمنياته. شدا لأزرهم في عراكهم الجريء وكفاحهم من أجل الحرية والعدالة"

"وإذا كان مغزى اجتماع باندونج أمرا عظيما وحدثا تاريخيا، فإننا نسيء إلى التاريخ إذا اعتبرنا مثل هذا المؤتمر بمثابة حدث منعزل، وليس تطورا في تاريخ العالم".

* * *

في الدوائر الشرقية:

نوهت جريدة برافدا. في عددها الصادر يوم ٥٢ أبريل، بإجماع البلاد الآسيوية والإفريقية، وقالت: إن بيان المؤتمر يمثل أهداف الشعوب الآسيوية والإفريقية وأمانيها في اجتثاث جذور النظام الاستعماري، وإقامة علاقة الجوار الطيبة، والتعاون السلمي في الحقل الاقتصادي والاجتماعي.

* * *

وقدم شواين لاي تقريرا عن مؤتمر باندونج إلى اللجنة التنفيذية الكونجرس الصيني جاء فيه:

إن أول عمل بارز توصل إليه أعضاء المؤتمر هو التأييد لنضال شعوب آسيا وإفريقيا، وخاصة لنضال تونس ومراكش والجزائر في سبيل استقلالها.. وقال: إن الصين حكومة وشعبا تحمي هذا النضال، وتتمنى له النجاح بالتعاون مع الدول الأخرى.

وفي الدوائر الغربية:

في بريطانيا:

ومضت جريدة تايمز تقول: وقد نتج عن موقف الوفد الصيني رأي يحسب حسابه، يقول إنه يجب إعطاء الصين فرصة البرهنة على أنها مسالمة.

في فرنسا:

رأوا أن الولايات المتحدة أخطأت باعتقادها أنه سيكون في المؤتمر ٢٠ دولة تدافع عن النظرية الغربية. وعن النظرية الأمريكية بصفة خاصة.. فالمؤتمر أوضح أن الغرب لم يجد سوى أربع دول على استعداد للدفاع الكامل عن نظرياته، كما دافعت عن الغرب بتحفظ ثلاث دول أخرى، وإن كان دفاعهم جميعا لم يمنعهم من الموافقة على استنكار الاستعمار. كما أنه تميز بالهجوم على الشيوعية أكثر من الدفاع الحقيقي عن الغرب صراحة.

وكتبت الفيجارو في عددها الصادر يوم ١٢ أبريل إذ قالت: "إن فكرة العداء للغرب والرغبة في التحرر من سيطرته كانت الرابطة الوحيدة التي جمعت بين دولة شيوعية وأخرى ديموقراطية وثالثة إقطاعية".

"ويرى ممثلو الدول في مؤتمر باندونج أن هذا المؤتمر هو الحدث التاريخي الذي قضى قضاء مبرما على الوصاية الأوربية في جميع أنحاء العالم، أو على الأقل أكد إرادة الشعوب للقضاء نهائيا على ما تبقى من هذه السيطرة.

"اجتمع وزراء من كافة الدول الآسيوية الإفريقية بقصد تخليص القارتين من الاستعمار الغربي، وإعلان تضامنها وتمسكها بحقوقها وإظهار العالم على أهدافها".

"ورجالات آسيا وإفريقيا وربما أمريكا متفقون لا ريب في محاربة الاستعمار، وفي الوقوف ضد النظام الفرنسي في إفريقيا الشمالية، ولكنهم مختلفون فيما عدا ذلك".

"فنهرو مثلاً يود إقامة سلام في العالم، ولكنه عاجز عن تحقيق السلام في علاقاته مع باكستان وفي حل قضية كشمير".

"وكان للدول الممثلة في باندونج فكرة ثابتة تجاه إسرائيل التي لم تكن ممثلة في المؤتمر، وفي قضية غينيا الجديدة (إيريان الغربية) التي أوجبوا عودتها لإندونيسيا بسبب موقعها الجغرافي وجنس أهلها، على الرغم من أن دولة إندونيسيا لم تستعد بعد".

* * *

رأي وزير خارجية أمريكا:

أضاف إلى ذلك أن عروض شواين لاي وصلت إليه عن طريق السيد محمد علي رئيس وزراء باكستان الذي كان أول من أبلغه إياها، وأنها مقترحات لها أهميتها، ومرضية نوعا ما، ولكنها في حاجة إلى دراسة وبحث.

ورأي مساعد وزير الخارجية الأمريكية:

أشار إلى أن بعض النقد قد وجه إلى الولايات المتحدة في مؤتمر باندونج فقال: "لست أخجل من هذا النقد، فالولايات المتحدة ترحب بالنقد.."

فليس هناك دولة أو فرد يمكنه أن يتمتع بحكمة وذكاء تأمين شاملين، فيما يتعلق بالشئون الدولية"... ثم ذكر مساعد وزير الخارجية الأمريكية أن الطريقة الديمقراطية للوصول إلى الحقائق، هي معرفة ما يدور في أكبر عدد ممكن من الأذهان".

* * *

أما في مصر.. فقد نُشرت في فترة انعقاد المؤتمر وقبله وبعده هذه الكلمات في نشرة ما.. ولا ريب أن هذه الكلمات قد مرت بنا من قبل عندما تحدثنا عن رأي الدوائر الصهيونية والغربية.. غير أن الذين نشروها في مصر يختفون تحت راية أخرى.. ويتحركون تحت شعار الحرية أولاً. الحرية قبل السلام..

* * *

عندما تحركت قوى السلام في العالم كله تؤيد باندونج وتؤيد المواقع الإيجابية التي اتخذها جمال عبد الناصر.. جاء في هذه النشرة بتاريخ ٩/ ٦/ ٥٥٩١: مقالاً تحاول فيه التشويه للموقف الإيجابي. وجاء في هذا المقال: "بعض عناصر من أنصار السلام انخدعت، أو شاءت أن تنخدع بالأقوال والتصريحات التي لم تخدع أحدا من جماهير الشعب، واندفعوا يكتبون في جريدة الدكتاتورية العسكرية".

* * *

وعندما كانت إسرائيل والصحف الاستعمارية تهاجم باندونج، وحين نشر الصحفي الأمريكي هارفي ب هول: "أن حكومة مصر تضلل شعبها باتباع سياسة خارجية مستقلة لاسترداد ثقته".. بعد أن نُشر هذا المقال في أمريكا وأُذيع في راديو إسرائيل بأسبوع واحد.. صدرت النشرة المصرية ٠١/ ٥/ ٥٥٩١ "وكان الموقف في باندونج للاستهلاك المحلي أكثر من أي شيء آخر".

* * *

واستمرت هذه النشرات التي تستخفي تحت راية الحرية تردد كلمات السيد الذي يملك الدولار ومصانع الأسلحة الذرية والويسكي الفاخر والشقراوات المدربات.. فبعد أن أُذيعت صفقة الأسلحة وهاجمتها الدوائر الاستعمارية واحتجت عليها.. وصرح الرئيس جمال عبد الناصر بأن مصر لا تقبل أي تدخل في شئونها الداخلية.. وحين كانت مصر معرضة لأخطر مؤامرة وإسرائيل تهاجم الحدود صدرت هذه النشرة نفسها في ٢٥/ ٥/ ١٩٥٥ تقول عن صفقة الأسلحة التشيكية "إن السلاح يستخدم ضد الشعب".

وفي هذه النشرة أيضا عطف على العدوان الإسرائيلي على الحدود.. وهجوم على الكتاب الوطنيين بالأسماء.. وهم الكتاب الذين أعلنوا موافقتهم الإيجابية، ووقفوا يحيون باندونج وسياستنا المستقلة ضد المؤامرات الاستعمارية.

* * *

وهكذا مضت هذه العفونة تحاول أن تلقي السخط وتزكيه، وتملأ بالمرارة قلوب الشرفاء.. وتقلل من شأن حكومة تقاوم الاستعمار وتناضل ضد الأحلاف العسكرية، وتتحرك تحت راية التعايش السلمي.. السخط على حكومة تقوم بدور وطني باسل، إنما هو رصيد للاستعمار.. رصيد لأعداء الوطن..

والتشكك في حكومة تقاوم المؤامرة وعدوان إسرائيل، هو أمر تفرضه مصالح إسرائيل!ولكن على الرغم من محاولة عزل الشعب عن الاهتمام بأمر هذا المؤتمر تنفيذًا لخطة الاستعمار والصهيونية التي فضحها نهرو..

على الرغم من كل هذا، فقد خاضت بعض العناصر الوطنية أعنف معركة ضد خطة الاستعمار الصهيونية، وضد هواة السياسة.. ومن أجل الشرفاء الذين خدعتهم المؤامرة، أو الذين أوشكوا أن يتورطوا تحت ضغط الخديعة.. وتعرضت هذه العناصر في معركة السلام والسيادة لأقذر أنواع الاتهامات.. للأنياب السامة تنهشها..

تعرضت للنباح، ولكل ما يمكن أن يعلق بالذين يقاومون التيار، ويتحملون مسئولية توضيح الطريق أمام الشعب حين تتحالف ظروف كثيرة، وتصبح الكلمة الزائفة أكثر بريقًا من الكلمة الصادقة، وتمضي الخديعة في الأسواق مزهوة رائقة تشوق بعض الأهواء بعطرها

الرخيص! اندفع بعض الوطنيين في ظروف مرهقة يوضحون لشعبنا الطريق، ويصدون عنه

الخطر، ويتعرضون في سبيل ذلك لأقسى أنواع الاتهامات وحشية وهمجية وخِسة.

اندفع الذين يحبون السلام والحياة والثقافة والوطن يواجهون نشاط المتعصبين، الذين جمدت رءوسهم وقلوبهم مما أفرغَ فيها المزيفون..

ويواجهون أعداء لا ضمير لهم ولا قيم.. ويواجهون مرتزقة يرددون ما تلقنوه.. ويواجهون شرفاء من أعز أبناء الوطن على الوطن أمضهم السأم، وأصبح من العسير عليهم أن يعرفوا الحكمة من الجنون.. ويواجهون بسطاء كثيرين طيبي القلب تعودوا على العزلة.. ويواجهون كل ما أفسده المزيفون من قلوب الناس، وفي هذا الجو نشرت الجمهورية هذا المقال.

* * *

رسالة إلى باندونج

يكتب إليك من هنا يا باندونج مصري من أنصار السلام.. وهو يكتب إليك من هنا لأنه لم ترتفع من مكان آخر صيحة تأييد، بأعلى مما ارتفعت من هنا.. ولأن الذي أزعجهم أن تلتقي مصر والهند والصين لحماية الحياة والحضارة، إنما يحاولون أن يشوهوا جلال هذا الموقف في كل مكان..

وليس لهم هنا مكان!

أنا هنا لأن هذا المكان هو الذي هاجم الأحلاف العسكرية الأجنبية بلا انقطاع، ودافع عن السلام في ثبات، ووافق على نشر بيان للمثقفين المصريين ضد الأحلاف، بينما أجفل آخرون وترددوا في التوقيع.

أنا هنا يا باندونج أدافع حتى الموت عن حق الإنسان في الحياة والثقافة والحب..

أنا هنا لأننا نحن المدافعين عن السلام نسلك دائما طريق السلام وحده.. غير حافلين بأشواك الطريق.

أنا أكتب إليك من هنا يا بندونج لأن هذا المكان لا يرفض برنامج أنصار السلام العالمي. ولأنه يقبل نشر كتاباتي دفاعا عن الثقافة الوطنية، وحياة أطفالنا، وحقنا في التبادل التجاري والاقتصادي والثقافة الحرة[1] مع جميع بلاد العالم على قدم المساواة.. وحسبي بهذا ميدانًا نلتقي فيه.

أنا أقف هنا جنديا يدافع عن شيء يعرفه، ويملكه.

وأنا هنا يا باندونج لأن الحماس للمؤتمر كان هنا.. وفضح المتآمرين عليه كان هنا..

ومن أجل ذلك يا باندونج حار في أمرك الذين لا هم هناك ولا هم هنا... ولا يستطيعون أن يكونوا هنا ولا هناك.

ولكن أليس من واجب الذين يريدون أن يحتفظوا بأنفسهم أحياء.. أليس من واجب كل الذين يخافون من انفجار القنبلة الذرية.. أليس من واجبهم أن يجعلوا من قرارات المؤتمر عملاً متصلاً يحمي لهم حياتهم ويوفر لهم مستقبلاً أكثر بهجة؟!

ليت الشرفاء والبسطاء اتبعوا إحساسهم وحده...!

---

(١) **ملاحظة**: كان الرسام "حسن فؤاد" مثل الشرقاوي يقف مع (باندونج) بريشته ـ والصورة التي ننشرها هي إحدى الرسوم التي أنتجها في فترة انعقاد المؤتمر (الناشر).

إذن لأدركوا المعجزة التي تمت فيك يا باندونج.. ولأدركوا أن الذين يعزلونهم عن الاحتفال بهذه القرارات وحمايتها. إنما هم أعداء الحياة.. أعداء مؤتمرك يا باندونج.. أعداء تحرير الإنسان!

أنا أعرف الكثيرين من هؤلاء البسطاء يا باندونج.. أعرفهم بأسمائهم.. وأعرفهم بوجوههم التي أجهلها وحياتهم وانفعالاتهم المتشابهة!..

إن الأستاذ عزيز ينظر في الصحف كل صباح ويلقيها بسرعة..

إنه موظف محترم أصبح الآن في الدرجة الرابعة.. ولكنه يشعر بضيق مبهم.. فحياته تبدأ في كل يوم وتنتهي كالمعتاد وتتكرر فيها نفس الأشياء إلى ما لا نهاية من المرات وبنفس الطريقة.. وزوجته الجميلة الشابة تقص شعرها كمارلين مونرو.. ولكنها تسير في الطريق بكل ملابسها الداخلية! وهي تلبس ثوبا أحمر يبرز جمال صدرها، وتهتز وهي ماشية، ومع ذلك فهي فاضلة.. أو - في الحقيقة - أنه لم يفكر في هذا الأمر رغم تلذذه بقراءة الفضائح التي تنشرها الصحف بلا توقف.

وزوجته نفسها تشعر بحيرة غامضة.. وهي دائما تحلم بثوب جديد من قماش فاخر.

غير أن هذا هو ليس ما يثقل نفس الأستاذ عزيز.. إنه يفكر في أن يشتري بدلة جديدة تليق به، ويحاول أن يجد طريقة ليقلع عن التدخين.. ثم.. هناك أطفاله "ماجدة" و"حازم" و"عماد" و"منى" إنهم في حاجة إلى لُعب..

إنه لا يعرف كيف يشتري لهم ما يلزم من الملابس.. حتى الكرافتة التي يتمنى أن يلبسها هو لا يستطيع أن يغامر بشرائها!..

ويجلس الواحد منهم أحيانا على المقهى مع أصدقاء من نفس النوع، فيتحدث كل واحد منهم عن أيامه القديمة، وعن الذين سبقوه ذات مرة في الترفيه، وظلوا يسبقونه بلا سبب.. وعن الذين تخلفوا..

لقد كان الأستاذ عزيز منذ خمسة أعوام يتمنى أن يحدث شيء ما.. أي شيء.. يهز حياته.. وهو الآن يعاني نفس الرغبة..

* * *

وهذا ما يشعر به أيضا الأستاذ عبد الله المدرس.. والدكتور حسن ومحمد عبد الشافي الموظف الصغير الذي لم يتزوج بعد.. وآخرون..

ولقد يسمع الواحد منهم السلسلة البوليسية التي تملأه رعبا من محطة الإذاعة، ثم يسمع معها أخبار مؤتمر باندونج.. ويأسى قليلاً لكارثة طائرة الوفد الصيني، ويسمع بقية أخبار

المؤتمر.. ويتلفت بعض الوقت إلى ما يذاع، ثم يعود ليحكم بالمجهول متمنيا أن يحدث شيء يهز حياته..

ويقرأ الواحد منهم رسالة ذات يوم عن أزمة في المؤتمر.. وعن مشاجرة.. فيهز رأسه ولا يهتم بقراءة التفاصيل!

وذات يوم يسمع القرارات يذيعها الراديو فيكتفي بها.. ثم تقع عيناه على رسالة خفيفة من باندونج في مجلة أو صحيفة مسلية فإذا به يشعر أن هذا المؤتمر مكان يجتمع فيه سياسيون كبار يخطبون ويناضلون، ثم يكتبون كلاما اسمه قرارات... ثم ينفضون!

هذا ما توحي به الصحيفة التي يقرأها.. وإنه ليشعر برضاه عن نفسه، وهو يقرأ ما تنشره تلك الصحيفة أو المجلة.. فالمؤتمر كما توقع هو تماما في خفة سريعة.. أزمات ومشاجرات ثم كلمات.. اسمها قرارات!.

* * *

أما "ناهد" الطالبة، فهي تفكر إن كانت قرارات باندونج سنأتي في الامتحان.. ثم تشرد في المجهول كالأخريات!

ولكن عبد المجيد الموظف بالسكرتارية بإحدى الوزارات يقرأ أخبار المؤتمر بشغف ودهشة.. ولا يعرف أيفرح أم.. لا يهتم؟!

إنه يعاني مأساة أبناء أخيه الذين يطعمهم لأن أباهم لم يعد معهم.. وعصام الطالب الجامعي في مأزق هو الآخر: نظام الامتحانات يرهقه، وهو لا يحب شيئًا مما يجري حوله. وفي ذكرياته آلام كثيرة.. أتراه.. ولكن.. ماذا؟.. إنه لا يعرف بعد!.

* * *

وآخرون يا باندونج.. آخرون ولا هم هنا..

وهم جميعا من الشرفاء يا باندونج..

هم جميعا من البسطاء الشرفاء الذين لا يريدون أن يِظلّ سماءهم سحاب ذري، ولا

يريدون أن يصبحوا ذات يوم ليجدوا كل ما يحبونه قد انهار واستحال إلى حطام يختلط بلحوم

البشر!. اغفري لهذا النفر من النساء والرجال، ولئن روعهم هذا الحديث فأساءوا إلى.. فاغفري

لهم مرة أخرى فهم شرفاء!

لقد تعودوا على أنفسهم يا باندونج.. ألفوا الحيرة والقلق والشك.. وألفت كل نفس أثقالها وأحمالها. وألفوا الشرود مع المجهول!..

أليس من المروع إذن أن نهتك عليهم هذا الصمت، فإذا هم مطالبون بأن يمجدوا الحياة وشرف الكلمة.. وبأن يجعلوا من الكلمة عملاً.. وفي البدء كانت الكلمة.. ومع الكلمة كان العمل!.

اغفري لهم يا باندونج فهم في طيبتهم الصامتة الحائرة المعتزلة يتعذبون؛ لأنهم يعيشون خارج التاريخ على هامش الأحداث، ولكنهم مع ذلك لم يتحركوا بعد ليصنعوا التاريخ ويسيطروا على الأحداث..

ومن هنا تنبع مأساتهم الحزينة.. مأساة الأستاذ عزيز وزوجته والأخريات والآخرين من أمثالهم!.. من هذا الصراع بين ما يريدون وما يفعلون تنبع مأساتهم الـ مِم ة.. وتنبع من حيث تزدهر الرغبة الصادقة، في عالم أفضل، وفي الغنى والحب والمتاع والسلام والكبرياء.. ومن حيث يفوح إحساس كُليب بالضياع والعجز.. هذا العجز الذي لا تفرضه قوى خارجة عنا، بقدر ما يخلقه فينا شعور خبيث بالهزيمة والانكسار.. وبأننا لا نستطيع..

* * *

ومنهم شرفاء آخرون يا باندونج، يهتمون بالحياة فيقفون على جانبي الطريق الذي تندفع فيه، ينظرون إليها بعيون نصف مغمضة وينقدون دوران الشمس والقمر، ويصفقون لاختلاف الليل والنهار. ويعجبون لتداول الأيام بين الناس.. ويتحدثون في المجهول عن أبطال أسطوريين يشبعون سلطان الوهم على قلوبهم.. دون أن يتحركوا هم أنفسهم ليقوموا بعمل واحد باسل.. ويظلون مع ذلك شرفاء يا باندونج!

* * *

اغفري لهم يا باندونج فحيث لا ينطلق اللسان تنطلق الخديعة، ويضيع الصدق في ضجة طبول النفاق، ويفقد بعض الشرفاء شجاعتهم وصدقهم لكي لا يتهموا بأنهم يقرعوا الطبول، وتتخذ الحياة بين بسطاء الناس قيما غريبة.. وترتفع أصوات ذات رنين تشوه العمل وتمجد اعتزال الحياة.

وفي هذا الجو المشحون باضطراب القيم يسود سلاطين الظلام، ويلبس المتبذلون أكاليل البطولة!

اغفري لهم يا باندونج.. اغفري لكل هؤلاء الشرفاء فهم جنود في معركة السلام والحرية.

إنهم لم يعرفوا بعد أنهم يستطيعون أن يحيلوا أحلامهم إلى واقع، أو أنهم حافظوا على السلام العالمي، وشاركوا في صيانته وتدعيمه.

إنهم لم يعرفوا بعد أن مقاومة الأحلاف العسكرية الأجنبية هي أقدس الواجبات، وأننا لو ظللنا بمنجاة عنها لبنينا حياة أجمل مما يحلمون به.

إنهم لم يعرفوا بعد أن استقلالنا الثقافي والاقتصادي ضرورة تاريخية يجب أن يصنعوها بأنفسهم، لتكون لهم المسرة التي يريدون.. ولتحدث الهزة التي يتمنونها لتنتشل حياتهم من الهمود والرتابة واليأس والعجز..

ولترتدي النساء مما تزْدن، ويلعب الأطفال بما تشتهي لهم الآباء. ويشعر الآباء بالغِنَى الذي يخالجه الزهو الطيب.

إنهم جميعا يريدون أن يعيشوا حياة أفضل، وأن يحصلوا على ما يحلمون به.

ومنهم آباء وأمهات يريدون أن يسعدوا الأزواج والأطفال ويحبون أن يعيشوا في المسرة التي تضيء بها النفس، وفي سعادة تأمل البريق الحبيب في عين طفل، وهو يستقبل الهدية التي حملها إليه أبواه!

كلهم يريد أن يتحرك في اطمئنان، ويلقَى من يحب، ويمتلئ جيبه بالمال، وتمتلئ حياته بالأمل..

كلهم يريد أن يرى الأفلام التي تهز نفسه، ويسمع الأغنية التي تنير أعماقه، ويقرأ الكتاب الذي يهديه، ويتحرك بلا متاعب، ويعمل في بهجة ويأكل الطعام ويمشي في الأسواق.. بلا أحزان.

كلهم كذلك يا باندونج.. وكلهم شرفاء.

ولكن أعداء الحياة يعزلونهم عن الاهتمام بالحياة يا باندونج، لكي تخلو السماء من السبحات الرائعة، وتزحمها القاذفات والذاريات والناطحات!.

فاغفري يا باندونج لهؤلاء الشرفاء البسطاء الذين يمضون دون أن يشعروا، في الطريق الذي اختاره لهم أعداؤك وأعداؤهم..

إنهم لا يعرفون أن الذين خلقوا لهم حياة دِعة يحرصون على أن تسود اللامبالاة..!

اغفري لهم فهم لا يعرفون..

اغفري لهذا النفر من النساء والرجال، فهم في صمتهم الطيب يعانون من القلق والحيرة، ويمزقهم التعارض الحاد بين ما يعيشون فيه وما يسمعون به.. وفخاخ الأزمة تتنازعهم بأنيابها من كل سبيل: الإحساس الصادق يقودهم إلى الموقف الصحيح، فيمسكهم عنه الضيق ويمنعهم منه الشك، ويقعد بهم كل ما يثقل النفوس في هذا الجزء من أرض البشر..

* * *

وعندما يدركون أن كسب السلام العالمي هو أضخم المعارك.. وعندما يعرفون يا باندونج أنهم مطالبون بالنزول من عليائهم ليتسخوا بغبار المعركة..

عندما يعرفون كل هذا.. ويعرفون جلال المعاني التي نبض بها مؤتمرك يا باندونج فسيضعون أيديهم في يد الشعب، وهذا خير من الطريق إلى المجهول!

ولشد ما نخشَى على هؤلاء الشرفاء يا باندونج حين يهمون بالاندلاع مع الحياة والناس، لينسجوا خيوط المستقبل وليمسكوا بأيديهم زمام المصير!

لشد ما نخشى عليهم من اللفحات المثقلة بالتراب والصهد، فهي لا ترهق الحلوق والأبصار فحسب، وإنما ترهق القلوب التي في الصدور.

ولشد ما نخشى عليهم من الذين يريدون أن يعزلوهم عن معركة بناء السلام والمستقبل، ويشوهون قراراتك يا باندونج ويحيلون حقائقها الحية المتألقة إلى كلمات باردة!

والذين يقومون بهذا الدور يا باندونج يحتالون دائما، لكي يشوهوا ما في الحياة من حق وصدق وجمال وخير.. لكي يسدوا كل الممكنات أمام حياة أفضل.

أنت تعرفينهم يا باندونج، وتعاني منهم كما تعاني كل بلد في آسيا وإفريقيا..

وهؤلاء يا باندونج لا غفران لهم! إنهم ينظرون إلى الحياة في كراهية وضيق، لطول ما مارسوا صناعة الموت والاتجار في آلات الدمار.. ولهم جهازهم الضخم من السماسرة والعملاء والباعة المتجولين في كل أنحاء الأرض.

إنهم يحاولون أن يقاوموا اندفاع التطور ويعيشون بغريزة الصيد في الوحش لا بعاطفة الحب في الإنسان!

إنهم لا يعرفون الحب أبدا.. وإنهم ليزدهرون في الضغينة والمؤامرة.. وسلام على الضحايا الذين سقطوا وهم في الطريق إليك يا باندونج. والصياد يا بندونج يطلق كلاب الصيد!

وفي مؤتمرك حاولت أن تغمر في نباحها المسعور أنغام الكلمة الجليلة.

حاولت أن تفتك بحمامات السلام على أرضك يا باندونج.. ولكن السواعد الفتية الرائعة ردتها، واتسعت سماؤك للحمامات الجميلة البيضاء!

وتركت كلاب الصيد تلهث وهي تلعق جراحها..

وما زالت كلاب الصيد تلهث في كل مكان من الأرض ترنو إليه دولة الصياد.لقد راعها أن تلتقي الصين الشعبية بمصر. فمضت تسوق أخبار الاجتماعات في غيظ مكتوم.

وأنا أعرف كلاب الصيد..

نحن نعرفها في مصر كما تعرفينها يا باندونج!.

سيقول فريق منهم في إشفاق مصطنع وفي جزع صادق بالغ: "ما هذا الكلام!. لقد تسرب أنصار السلام إلى الجمهورية.. وأنصار السلام شيوعيون!" سيقولون هذا وغير هذا مما يكيد أعداء السلام للسلام!

إن هذه الألسنة هي نفس الألسنة التي كانت تكيد للمؤتمر وستظل تكيد لقراراتـه.. وقـد كادت تلهث بأن المؤتمر "شيوعي" حتى قررت مصر أن تـشترك فيـه. فخرسـت وسـكت المرجفون في المدينة، وانطلق المنافقون, يعفرون جباههم في الأرض!.

* * *

أنا أعرف كلاب الصيد.. نحن نعرفها في مصر كما تعرفينها يا باندونج.

وسيمضي فريق منهم من سماسرة أعداء السلام يقولون كلاما آخر باسم الحرية.. إنهم فريق تعس معذب ينفق أياما باهرة من البطالة والغنى واليأس والغزل، ويتسكع على مقاهي القاهرة وحاناتها: في الرأس تحليلات سياسية مدفونة وفي الجيب ثمن الويسكي، وفـي الأعماق كراهية وأحقاد وزفارت!.

إنهم لتعساء هذه العشرات الضالة من الضائعين: الفراغ يمزق حياتهم والمخدرات تلـتهم منهم الأعصاب..

وهم يمضون معا كالسمكات المتوحشة يخفون فضائحهم الخلقية في.. زعيق سياسي وفي انهيارهم المروع يلتقطون من خرائب نفوسهم أحجارا يقذفونك بها يا باندونج، ويخيفون بهـا الشرفاء الذين يريدون أن يعملوا في سبيل السلام ويخضبون بهـا المـدافعين عـن الـسلام العالمي.. ولكن..

مهما تـهاجمك هذه المسوخ الكريهة الشائبة.. ومهما تحشد في هجومها على حماة الـسلام كل ما تملك من جبن وأحقاد وانهيار، فهي لن تقوى على إخفاء الحقيقة التي أعلنهـا الالتقـاء المجيد على أرضك يا باندونج.

ولن تستطيع أن تعزل معركة حماية قراراتك، واحدا من الشرفاء الشجعان..

لتقل ما تريد على ضباب المخدرات ورنين الكئوس صدى فضائحها.. لتقل ما يمليه عليها شبح ضميرها كاحتجاج على انهيارها الخاص!.. ولتملأ الدنيا بالنباح!..

ويظل مؤتمرك يا باندونج رمزا ضخما لما يمكن أن تحققه إرادات الشعوب.

لن يبلغ منه الناقمون شيئًا.. ذلك أن كل ما يمكن أن يصنعوه لإخفاء آثار المـؤتمر، لـن يعدو باب حانة من تلك الحانات التي يباع فيها بثمن معلـوم صـنف معين مـن النـساء.. والرجال!..

لقد طاردت الكلاب الضالة والنساء الساقطات من أرضك يا باندونج أثناء المؤتمر.. ولكن ما الحيلة في كلاب الصيد.. والرجال الذين انطلقوا بعد المؤتمر!...

ليأخذوا ثمن ما يقومون به من خدمات، وما يلقون به من كلام.. ليأخذوا أموالاً يستهلكها الخمر والمخدرات، أو بناء يرتفع تسعة طبقات أو عشرات الملايين مـن الـدولارات.. فلـن

يستطيعوا أن يمنعوا شعوبنا يا باندونج من معركة الدفاع عن الحياة.. ولن يأخذوا منها ما هي موشكة على أن تمسكه بيدها!..

وإن جبهة فولاذية عريضة من هؤلاء المخلصين، ومن الفلاحين، والتجار الذين يريدون أن يكسبوا وتتزايد مكاسبهم.. إن جبهة عريضة من أصحاب الأعمال الذين لم يرتبطوا بتجار الموت من الشرفاء الذين ينشدون المساواة في المزايا، وتبادل المنافع، ومن العمال، وبسطاء الناس، ومن فئات الشعب العامل..

إن جبهة ضخمة من هؤلاء جميعا من كل الجنود الذين يدافعون عن السلام واستقلال الوطن..

إن هذه الجبهة هي التي تستطيع أن تصون قراراتك وتحمي الاتفاقات التي تمت في أرضك يا باندونج، وتعصم هذه القرارات والاتفاقات من المؤامرة أو النسيان..

* * *

وفي قريتي كان الفلاحون ينظرون إلى حقول القطن الخضراء التي لم ترتفع بعد عن الأرض، ويشعرون أن قدرا غاشما فرض عليهم التعاسة..

وعندما يقول الفلاحون هذا الكلام، فحياتنا الاقتصادية كلها تتعرض للمؤامرات ولعله من أجل ذلك غمرت الابتسامة المشرقة تلك الوجوه العذبة السمراء، عندما أذاع الراديو على أهل القرية ذات مساء أن الوفد المصري والوفد الصيني في باندونج اتفقا على صفقة كبيرة من القطن، وعلى التبادل التجاري الواسع.

وابتسم فلاح عجوز جندته السلطة البريطانية في حرب سنة ٤١٩١ وقال: من أجل هذا قتلوا الوفد الصيني، وحاولوا أن يحرقوا الرجل الصيني...!

أجل.. أجل من أجل هذا.. ولكي يأخذوا أبناءك إلى حرب لن يعودوا منها، ويتركوك في شيخوختك تموت على مهل بالإشعاع الذري!.

من أجل هذا.. ولكي يصبح كل أهلك وأصدقائك والذين انغرست أقدامك في الوحل معهم على أرض الشام أيام الحرب الأولى، عبيدا في مزرعة.. لا يساوي العبد فيها ثمن السوط الذي يضرب به!..

نعم.. من أجل هذا... ولكي يظل شبابنا في القاهرة يشاهدون أفلاما تمجد الحرب، كمغامرة جنسية يظفرون خلالها بالشقراوات العاريات ونساء الجزائر الحارة!..

من أجل هذا حاولوا وسيحاولون الكثير!..

لكي تصبح ثقافتنا في خدمة الإعداد للحرب، لكي تنطفئ الكلمة المضيئة لتحل مكانها مغامرات طرزان ومذكرات بائعات الهوى، وأدب الانحلال واليأس!.

أجل.. من أجل هذا أيها العجوز الطيب القلب الصادق النظر.

من أجل هذا.. ولكي يصبح عناؤك تحت الشمس باطلاً، وقبض الريح!.

ولكي يعود إليك العمال الذين تركوك إلى المدينة.. يعودون حمقى من البطالة مجانين من الغيظ.

ولكي تتدفق الأموال من عرق أبنائك إلى ما وراء البحر وتتراكم عظامك أمام كلاب الصيد!.

غير أن هذا لن يكون.. مهما يحاولون.

ومؤتمرك يا باندونج يفرض لأول مرة إرادة الحياة والسلام والحرية باسم المعذبين.

والمحيط البشري من شعوب آسيا وإفريقيا.. هذا العباب الضخم المشحون بطاقة الذرة يجرف انطلاقه في كل السدود!

والجبهة الهائلة من شعوبنا تتحدى الخطر، وتصنع تاريخها يوما بعد يوم على الرغم من كل شيء.. وسلام على سوريا الباسلة التي واجه العاصفة بكل نبل الكفاح، مستندة إلى حائط حصين من تأييد الشعوب!.

لن يكون هذا الذي يريده أعداؤك يا باندونج.. ولن يسمح به الفلاحون في قُرانا المصرية العزيزة.

إنهم في قريتي يسمعون اسمك لأول مرة، ولا يعرفون أين أنت من العالم.. ففي قريتي لم يتح للرجال ولا للنساء أن يعرفوا أين يقع هذا البلد أو ذاك من الكرة الأرضية... وهم في قريتي يفكرون أن هذه الأرض المنبسطة التي يمشون عليها جزء من كرة... ومؤذن القرية يلعن أطفال المدارس الذين يقولون أمامه هذا، ويلعن آباءهم.. وينحسر على أيام مجده في الكتاتيب!.

وعلى الرغم من هذا كله يا باندونج فهم في قريتي يحبونك.. ويقولون أن بركتك لحقت القطن هذه السنة!.

لولاك ما غنَّى عوض المواويل الخضراء، فقد قال حسونة لأبيه أن القطن انتُشل وأن الولد يستطيع أن يتزوج عندما يخلع الذرة.

وعوض مثل مهران ومهران كعبد الرازق.. والحاج عمر كصالح.. وصالح كالآخرين..

وزينب الصغيرة التي كانت تحمل هم الزواج. تبتسم لأول مرة منذ قرأ خطيبها محمود ابن دياب فاتحتها على أبيها.

ولواحظ تريد أن تطمئن على أن ابنها في المدينة لن يعود عاطلاً طريدا من المصنع.

إن هذه النفوس الجميلة بكل أحلامها الصغيرة لم تستطع بعد أن تنطق اسمك يا باندونج.. وأنها لتنطق اسمك محرفاً بطريقتها الخاصة، ولكنها تعرف أن لقاء تم في أرضك... وأن هذا اللقاء يحمل أملاً كبيرا إلى كل القلوب.

إن هؤلاء البسطاء الذي لم يعرفوا الراحة أبدا.. يريدون أن يحرثوا الأرض في أمن.. وأن يحصدوا في اطمئنان، وأن يبيعوا محصولهم بسعر طيب آخر العام.

إنهم لا يعرفون الفلسفة ولا الكتاب ولا الحكمة.. ولكنهم يعرفون الخير والشر والظلم والعدل.

وعندما يزحف الظلم عليهم ثقيلاً كريها يصبرون لبعض الوقت حتى ليحسبهم الإنسان موتَى.. ثم إذا بهم فجأة وعلى غير توقع يهبّون ويتدافعون على ظالمهم.. وإذا بسواعدهم المكدودة تفرض إرادة العدل!

أنا أعرفهم يا باندونج.. ولقد تعلمت منهم مع أول الكلمات وأنا في قريتي كلمة الاستقلال.. والوطن.

أنا أعرفهم يا باندوج.. ولقد ثبت في ذهني مع أول ما ثبت من الصور.. مواكب انتفاضاتهم في سبيل العدل!

وأنت تعرفين هذه المواكب يا باندونج.. مواكب المعذبين التي انطلقت عبر الكفاح من جيل إلى جيل تردد لعنة الإله الجديد الذي هبط عليها من ناطحات السحاب، أو من وراء البحار!.

هذه المواكب من الفلاحين لا تعرف السياسة يا باندونج.. ولكنها تصنعها...

والفلاحات يخفين الوجوه في الأكمام خجلاً من ملابس الشقراء ذات الأكتاف العارية.

وفي قُرانا ليس كل الرجال يفضلون الشقراوات..!

إنهم يفضلون العمل المجزي..

يفضلون أن ينعموا بمسراتهم الساذجة، وأن يعلّموا أبناءهم وأن ينقذوا أجسادهم من الآلام التي يحملها إليها ماء النيل، مع ما يحمل من الخصوبة والطمي..

إنهم يحبون أن يقيموا أفراحهم ولياليهم ومهرجاناتهم بطريقتهم الخاصة..

إن الفلاح في قُرانا يريد أن يضحك كما يريد هو..

إنه يريد أن يضحك من قلبه.. لا من الفم.. ويبكي من جراحاته..

من أجل ذلك يا باندونج فقد بارك الفلاحون الاتفاق الذي تم في أرضك، لتحرير مصيرهم من السيطرة الأجنبية وسيحمون هذا الاتفاق..

والعامل في المدينة يدرك أن تنفيذ اتفاقات المبادلات التجارية الحرة سيخلق مجاملات جديدة للعمل، ويساهم في رفع الأجور. وتوفير احتياجاته ويقدم عملاً لا يجدون طعامهم بين أنياب الآلة..

سيؤدي هذا التحرر إلى إنشاء مصانع جديدة، وإلى ملء أسواقنا بالبضائع والمنتجات.. فيجد الموظفون والمثقفون كثيرا من مطالب الحياة بثمن يطيقونه.. وتزدهر المتاجر وتمتلئ الجيوب.. جيوب العمال وأصحاب المصانع وأصحاب المتاجر والفلاحين، والذين يشاركون في إنتاج وتداول كل مواد التبادل التجاري.. ويستريح أصحاب الدخل الثابت لوفرة المنتجات، واعتدال الأسعار، ويهدأ مشتاق ويرتاح متعب..

ومن أجل هذا جزع اليقظون من هؤلاء جميعا عندما قرأوا في إحدى الصحف أخبارا عن المؤتمر هي عكس ما سمعوه من الإذاعة في المساء...

ولكن أنباء الإذاعة أعادت الطمأنينة إلى كل القلوب..

ونجح مؤتمرك يا باندونج على الرغم من كل شيء.. فلتنهش كلاب الصيد إذن لحم بعضها، ولتبحث في أحشائها، أو في العفونة عما تقتات به، ويظل مؤتمرك يا باندونج تعبيرا عن انتصار الحياة..

لقد اعتبرت قراراته الاستعمار خطرا على السلام العالمي.. واستنكرت العدوان الوحشي على عرب فلسطين وطالبت باحترام قرارات الأمم المتحدة.

وقرر مؤتمرك حل المشاكل الدولية عن طريق المفاوضات، وتحريم استخدام الطاقة الذرية إلا للأغراض السلمية..

وطالب بعضوية هيئة الأمم للدول ذات السيادة على أرضها..

وقرر إلغاء التمييز العنصري والاضطهاد الواقع على الملونين.. هذا الاضطهاد ما زال يفرض على حياة ملايين عديدة في الدنيا الجديدة والدنيا القديمة!

واستنكر مؤتمرك المخالفات العسكرية الأجنبية وطالب باحترام الثقافات الوطنية وحمايتها، وقرر مبادئ التبادل التجاري والثقافي المتكافئ المزايا..

وقرر مؤتمرك أن المستقبل للشعوب وللإخاء الإنساني..

وإنها إذن لجريمة لن تسمح بها الشعوب أن تظل هذه القرارات مجرد كلمات..

إنها لجريمة أن تذوب هذه القرارات أو تنسى.. كما يريد أعداء المؤتمر..

إن قوى السلام لن تعتزل معركة الحياة، ليتصرف تجار الموت في الحياة..

وقوى الشعوب اليوم يا باندونج تمضي معها كثير من الحكومات.

إن أنصار الشعوب يرون في هذه القرارات انتصارا للقضايا التي كافحوا ويكافحون من أجلها على الدوام.

* * *

فلتعد المؤتمرات الشعبية الواسعة في كل مكان، لتأييد هذه القرارات، ولحمايتها، ولتحويلها إلى واقع حي..

لقد قرر الرجال الرسميون، ونحن نكبر المخلصين منهم والشرفاء.

من الممكن يا باندونج أن تظل هذه القرارات مجرد كلمات على ورق كما يريد أعداؤك..

ولكن الشعوب وحدها.. ولكن القوى الوطنية وقوى السلام ـ من رسمية وشعبية ـ هي التي تستطيع أن تعطيها اللحم والدم والحركة..

إن القلاع التي تحمي قراراتك يا باندونج هي الشعوب نفسها..

فليكتب كل المثقفين في كل يوم دفاعا عن هذه القرارات، وليتحرك كل الأحياء لتنفيذ هذه القرارات..

ولتفتح كل العيون لإفساد المؤامرة على هذه القرارات..

ولتكن شعوب آسيا وإفريقيا في تماسكها، ووحدة كفاحها وحرصها على كل مناضليها هي الحصن الفولاذي الذي لا ينفذ إليه الصياد أو كلاب الصيد!.

لتنطلق حمامات السلام في الجو بالأمل.. ولتترك حاملات القنابل لها أجواء السماء!..

فلتمخر السفن في البحر تنقل التجارة بين كل أقطار الأرض.. وليغب في النسيان هذا القرصان الذي يطوف بالبحار يأخذ كل سفينة غصبا.

لتعبر الثقافات حدودها، ولتفتح الحدود لكل الثقافات..

ليتبادل الناس الزيارات والمعرفة من كل وطن، مهما تكن نظمه السياسية والاجتماعية..

* * *

إننا في مصر نعاهدك على هذا يا باندونج.. نعاهدك على صيانة قراراتك.. لقد عرفت موقف الرسميين وهو موقف الشعب كله!

وإنا نعاهدك باسم الآباء الذين يريدون حياة ناعمة لأطفالهم، وباسم الأبناء الذين لا يحبون أن يروا أشلاء الآباء.. باسم الأمهات اللواتي يحلمن بمستقبل زاهر للأبناء..

نعاهدك باسم حبنا لكل الشعوب بلا استثناء.. وباسم الأحزان المشتركة والفجائع المشتركة والآمال المشتركة..

نعاهدك يا باندونج باسم الثقافة التي تشرق في النفوس والعقول..

باسم الصدق الذي يملأ المشاعر بالجلال..

نعاهدك يا باندونج باسم أجيال من الشهداء..

نعاهدك باسم الجمال والخير والعدل..

نعاهدك باسم الحرية التي نُمارس من خلالها كل ما في إنسانيتنا من شرف وطاقة.

وباسم الحضارة والحياة..

نعاهدك يا باندونج على أن نظل حماة صادقين للسلام.. حراسا يقظين لقرارات مـؤتمرك المجيد.. ونعاهدك على أن تظل أيدينا ممدودة بالصداقة والإخاء إلى كل شعوب العـالم علـى السواء.

* * *

وتمضي بنا الأيام والليالي.

ويظل مؤتمرك يا باندونج مبعث أمل وعزاء ومشرق فجر من السلام. وسلام عليـك يـا باندونج..!.

سلام عليك أيتها المدينة الرائعة التي عرفناها نحن نابضة بإرادة الذين يدافعون عن الحياة في أمل وحب، ويصنعون المستقبل في ثقة وبلا ضغينة ويحمون السلام في إصرار..

* * *

الـفـصل الــرابــع

ُنشرت هذه الرسالة في أول مايو.. كنداء الشعب المصري أن يشترك في المعركة، وطالبت الرسالة بأن تشكِّل اللجان الوطنية لحماية قرارات باندونج؛ لجانًا باسم التبادل الثقافي من الفنانين والكتاب.. ولجانًا لحماية التبادل التجاري بشتى أنواعه من التجار وزارعي القطن.. لجانًا من أصحاب الحرف ومن كل المواطنين الذين يجب أن يشاركوا في تنفيذ قرارات باندونج وأن يشاركوا في حمايتها من المؤامرات والعدوان الأجنبي.. لجان تمكن المواطنين من أن يجعلوا من قرارات باندونج حركة حية في التطور الاقتصادي والثقافي وفي تطورنا الاستقلالي..

ولكن هذه الاقتراحات وهذا الموقف كله استقبل بعداء شديد من العلماء والخاضعين لنفوذ المصالح الصهيونية والاستعمارية في مصر..

أما الذين اختاروا أن يختفوا تحت راية حمراء ــ حمراء كنجمة إسرائيل ــ فقد نشطوا في إذاعة التحليلات ضد هذا الموقف.,, واستعاروا نصوصا ليهاجموا بها أي تحرك من أجل تطورنا الاستقلالي، ومن أجل حماية قرارات باندونج.. وانطلق أصحاب التحليلات يلتقطون من الذين طحنتهم مأساتهم الفردية بعض رجال ونساء يحركهم الحقد لا الحب، وترسم خطوات حياتهم العقد الكريهة الصفراء.. وكما يشير الصياد إلى كلبه؛ فقد أعطى أصحاب التحليلات إشارة إلى كلابهم الأمينة.. وهكذا انطلقت غمغمة الشتائم، وانحنى أصحاب النفوس الخربة على خرائب باندونج.. وكثير من الشرفاء يؤثرون العافية ولا يحبون أن تنهشهم الكلاب المسعورة أو تلوثهم قذائف الحجارة الملونة.. وهكذا يخضعون للإرهاب الذي يشنه عليهم فريق من المرضى.

هذه هي الطريقة التي اختارها الذين يختفون تحت راية حمراء من عملاء الاستعمار والصهيونية.. أما الآخرون فقد اختاروا أسلوبا آخر من الإرهاب، ومن كتابة البلاغات إلى دوائر الأمن الأمريكية ضد الشرفاء الوطنيين الذين تحركوا تحت راية باندونج.. وكان الأسلوب الآخر في كتابة البلاغات والإرهاب يتناسب مع وسائل الآخرين: كل بوسائله!

وكما أن النوع الأول قد اتهم المناضلين تحت راية باندونج بالشيوعية، ووجهوا الاتهامات إليهم على هذا الأساس؛ فقد كتب النوع الثاني -وهو يملك نشرات علنيةــــ هجومـــا سافرا ومارس إرهابا سافرا.

ورد ا على النوع الأخير صدر هذا المقال.

سلام بلا ألوان:

ليس الخوف وحده، هو الذي يدفع شعوب العالم إلى المطالبة بتحريم وإنتاج الأسلحة الذرية والهيدروجينية.. ليس الخوف وحده هو الذي يحرك الشعوب للمطالبة بإتلاف وإبادة الأسلحة ذات التدمير الشامل، وإنما هناك العديد من المعاني تدفع الشعوب، إلى المطالبة باستعمال الطاقة الذرية للأغراض السلمية.

ولئن كانت ذكريات هيروشيما ما زالت تعذب كل قلب.. ولئن كانت التجارب الحديثة ترسم صورا مروعة من الجحيم الذي سيلتهم الحياة والحضارة والتراث والثقافة، ويغمر الأرض كلها بطوفان من اللهب والموت.. لئن كان هذا كله هو الذي يثير الشعور ويحرك المقاومة، ويلهبها ضد الأسلحة الذرية والهيدروجينية، فهناك مع ذلك أشياء أخرى أعمق من الخوف هي التي تدفع كل إنسان منتج إلى المطالبة بتسخير الطاقة الذرية للإنتاج السلمي.

والإنسانية اليوم تدرك مدى التقدم والرفاهية والراحة، والسعادة وكل الطيبات التي يوفرها استخدام الطاقة الذرية في الصناعة والزراعة، ووسائل النقل وفي الحياة اليومية.

وفي غير مكان من الأرض، حقق هذا الاستخدام السلمي ـ رغم ضيق نطاقه ـ نتائج كالمعجزات.. وبدأنا نسمع بفخار وأمل عن انتصار العقل الإنساني على الطبيعة، وقوى الخفاء والأمراض المستعصية، وبدأ العقل الإنساني يقتحم كل مجال ويناقش الموت نفسه.

وهذه النتائج الرائعة، وما زالت تهز أحلام الذين يرهقهم التوتر الدولي، وتمزقهم رتابة الحياة المليئة بضجيج التهديدات بالحرب..

إن هذه النتائج تمثل لهم فرصة للخلاص من الجنون، وإنهم جميعا ليحلمون من خلال توترهم.. بأن تصبح الطاقة الذرية في بلادهم وسيلة لحياة أقل عناء، وأوفر حصادا.. أن تصبح في أيديهم قوة يواجهون بها الألم والقلق والمرض والعجز.

إنهم ليعرفون أن هذا كله ممكن، وواجب أيضا.. وهم من أجل ذلك يتحركون ـ في بسالة وشرف ـ ليصنعوا الممكن.. وليؤدوا الواجب!.

* * *

والشعوب الآسيوية والإفريقية التي أعلنت في باندونج إرادتها بتحريم استخدام وتجربة الأسلحة الواسعة التدمير وطالبت باستعمال الطاقة الذرية في الأغراض السلمية، هذه الشعوب لم تكن تعبر عن خوفها فحسب.. كانت تعبر عن أشياء عديدة أخرى أعمق من الخوف.. كانت تعبر أيضا عن الأمل.

كل هذه الدعوات المخلصة الحارة الصلبة، لم تكن تخدم مذهبا سياسيًا، أو اجتماعيًا معينًا؛ وإنما كانت تخدم شيئًا واحدا وستظل تخدم شيئًا واحدا هو مستقبل الإنسان.

فلتكف إذن عن تشويه دعوة السلام كل تلك العناصر التي طالب أحد ممثليها في باندونج بضرورة استعمال القنابل الذرية باسم حماية الحضارة.

إنه على الرغم من كل وضوح، فما زال بعض الذين يريدون استخدام القنابل الذرية يجدون طريقًا لتحطيم المقاومة.. إنهم يملكون الأجهزة الواسعة والدعاية الضخمة، والمال والعملاء.. وهم يملكون الخديعة أيضا.. وقد يستطيعون لبعض الوقت أن يخيفوا بعض الناس من الاشتراك في مقاومة الحرب.. ذلك بأن يذيعوا ويؤكدوا أن المطالبة بتحريم القنابل الذرية والهيدروجينية إنما هو سلام أحمر.. أو يخدم مذهبا معينا.. وفي بعض مناطق النفوذ، تعتبر الدعوة إلى السلام جريمة، ويعتبر التوقيع على النداء بتحريم الأسلحة الذرية والهيدروجينية محاولة لقلب نظام الحكم.

إن هذا كله مع ذلك لم يحطم مقاومة الإنسان..إن

الذين يطالبون باستعمال القنبلة الهيدروجينية هم أفراد معينون بالذات في بعض الدوائر الحاكمة، وهؤلاء رغم كل ما يملكون من وسائل لا يستطيعون أن يهدروا سكان الأرض.

لقد حققت هذه الإرادة التي لا تقاوم، مؤتمر جنيف، وباندونج ومعاهدة النمسا، وستحقق اجتماع الأربعة الكبار.

إن السلام الأحمر خديعة جديدة صنعتها دعاية الأسلحة الذرية، ويروجها **بعض ال**سذج الذين يحسبون أن هذه هي الطريقة الوحيدة لتأمين مستقبلهم مع الدوائر التي تريد استعمال القنابل الواسعة التدمير!

إن البسطاء العديدين والشرفاء وكل الذين يريدون أن تستمر الحياة.. وأن تصبح خيرا مما هي لا يحفلون بهذه الخديعة، لا يعرفون ما هو هذا السلام الأحمر، ولا يفهمون كيف يمكن أن يخدم السلام شيئًا آخرً غير حياتهم هم أنفسهم.

إنهم يريدون أن يندفعوا في كل صور المقاومة.. ليقاوموا كل أشكال التحضير لحرب ذرية؛ التكتلات العسكرية.. إنتاج الأسلحة والقنابل.. والتوتر الدولي.. **تمزيق العالم إلى** كتلتين!.

* * *

وشعبونا الآسيوية والإفريقية، التي ما زالت تعاني من التخلف الاقتصادي والاجتماعي تدرك أن استخدام الطاقة الذرية في الأغراض السلمية لا يعني حماية الحياة والحضارة فحسب، وإنما يقدم لها أيضا، كل وسائل النهضة الاجتماعية والاقتصادية.

* * *

إن شعوبنا الآسيوية والإفريقية، التي طالبت بوجوب التعايش السلمي في باندونج، تدرك أن حالة التحضير للحرب، تعني بالقياس إليها: استمرار التخلف الاقتصادي، واستمرار الضغط الأجنبي السياسي وهي تدرك أيضا أن تطورها الثقافي والاجتماعي، مرتبط بارتفاع مستوى المعيشة فيها، إن الإنسان لا يقرأ وهو جائع، ولا يتمتع بالموسيقى والغناء وهو يبحث عن ثمن العافية.. ولا يستطيع أن يحب ويضحك وينطلق ويمارس فضائله وهو محتاج.. إن كثيرا من نسائنا يسقطن، وهن يبحثن عن حياة أقل شقاء. وكثير من الرجال كذلك!..

إن شعوبنا الإفريقية والآسيوية التي تعاني من الفقر.. تعاني أيضا من حاجتها إلى كل ما يضيء النفس.. إلى الثقافة والفن، والعافية..

والذين يمارسون كل الأشياء الجميلة ـ الضرورية ـ في حياة الإنسان هم مع الأسف أقلية ضئيلة بين الشعوب الآسيوية والإفريقية.

وما زالت الغالبية العظمى، تعاني من الأمية، والمرض، ومن سلطان الخرافة على العقول، ومن الجهد التعس، الذي يجب أن يبذله الإنسان ليأكل الطعام.. ومع ذلك فبلادنا الآسيوية والإفريقية، هي أغنى البلاد وأجمل البلاد.

إن استخدام الطاقة الذرية وتسخيرها بأمرنا هو وحده الذي يستطيع بأيسر مجهود، أن يخرج الكنوز الخبيئة، من المعادن.. أن يجعل من الصحاري الشاسعة، جنات يانعة، عامرة بالمحاصيل... أن يملأ البراري بالمصانع.. أن يملأ كل مكان بالمنتجات.

وعندما يتحقق التطور الصناعي المنشود، ويقوم الاقتصاد في المدينة والقرية على الآلة، وتتزايد الدخول، ويرتفع مستوى المعيشة.. عندها يتحقق التطور الاجتماعي والثقافي والفني الذي نرجوه.. ويصبح إنسان آسيا وإفريقيا، قوة خالقة حقًا يبني مع زميله الإنسان في كل مكان من الأرض أجمل مستقبل.

إن شعوبنا الإفريقية والآسيوية لا تعرف لونًا للسلام، وإنما تعرف السلام فحسب.. وتعرف أن سلامها هو سلام للعالم، ولقد رحبت دائما بكل دعوة إلى التعايش السلمي، وإلى حل المشاكل الدولية عن طريق المفاوضات، وأيدت كل نداء باستخدام الطاقة الذرية في الأغراض السلمية، ورأت فيه تعبيرا عن أملها.

والذين يريدون أن يعزلوا شعوبنا عن معركة حماية السلام بدعاوى السلام الأحمر، لن يوقفوا انطلاق شعوبنا، ولن يستطيعوا أن يشوهوا تأييدها لكل هيئة تقاوم الخراب والدمار، وتعمل على حماية الحياة، والحضارة، والثقافة..

* * *

إن السلام.. عالمي.

وإذا انفجرت القنابل الذرية والهيدروجينية، فلن تسلم بقعة من الأرض، سواء أكانت هذه البقعة حمراء أم صفراء.

أليس من واجب كل شعب أن يتحرك لحماية نفسه من الخطر الذري، أليس من واجبه أن يتحرك في نفس الوقت لحماية الشعوب الأخرى من الخطر؟! إن ضمان الدفاع ضد الخطر الذري يقتضي من كل شعب أن يمنع الانفجار في أي مكان.

إن السلام عالمي وليس إقليميا؛ ذلك أن الإشعاع الذري لا يمكن حصره في نطاق التكتلات الإقليمية!..

والشعوب الآسيوية والإفريقية تدرك هذه الحقيقة، ومصر أيضا تدركها.

ومن أجل هذا طالب مؤتمر باندونج بضرورة التعايش السلمي، بضرورة الحياة جنبا إلى جنب في سلام وإلا فلا حياة.

إن كل كائن حي يستطيع أن يصنع شيئًا للدفاع عن حياته. إن كل إنسان يملك أن يتحرك خطوة في سبيل المستقبل، في سبيل منع الأسلحة الذرية والهيدروجينية، واستخدام الطاقة الذرية للإنتاج السلمي.

إن الحرص على التقاء ممثلي الهيئات والمذاهب المختلفة، وتبادل الآراء، والأفكار، ووجهات النظر المتباينة، يمكن أن يقدم الكثير لحماية سلام العالم.

إن اجتماع شواين لاي بايزنهاور وبولجانين وإيدن.. والرجل الذي سيكون رئيسا لفرنسا يوم عقد الاجتماع.. إن اجتماع الخمسة الكبار لن يكون خدمة لمذهب معين..

ولن يتفقوا إلا على العقل، وأفضل الحلول.. إن التمسك بمثل هذا الاجتماع وباجتماع كل الرؤساء والشرفاء وممثلي الشعوب، ليس واجب دعاة السلام فحسب بل هو واجب كل إنسان شريف في العالم، وواجب كل إنسان يريد أن يعيش حياة أفضل.. كل إنسان يرفض أن تقام المذابح للأطفال!

* * *

إن شعوبنا ترحب وتنادي بأن يلتقي المسئولون أو القادة الشعبيون وممثلو الهيئات والمذاهب المختلفة، ويتفقوا على حل لإنقاذ العالم، ولراحة أعصابه.

ليلتقوا في سان فرانسيسكو أو استوكهلم أو في جنيف أو باندونج أو فيينا أو موسكو أو لندن.. أو هلسنكي!.. المهم هو أن يلتقوا، وأن يبحثوا عن حل.

إن انفجارات التجارب الذرية هي وحدها التي يمكن أن تخفي نغم الكلمة الطيبة.

إن التسابق في التسلح يستهلك الأموال التي ينبغي أن تتفق لتحسين مستوى الحياة..

فلتخرس هذه الانفجارات، لترتفع بدلاً منها الكلمات الأمينة، صادقة معبرة عن إرادة كل الناس في الدفاع عن الأطفال والمستقبل، والحضارة، وحياة بلا متاعب.

إن سلام العالم وحده لا تتجزأ.

السلام.. عالمي، بلا ألوان..

والسلام العالمي هو طريق الشعوب الآسيوية الإفريقية إلى الحرية والرخاء، هو الطريق إلى حياة أفضل.

* * *

الفصل الخامس

... وبعد:

كانت القرارات التي أصدرها مؤتمر باندونج صدمة للذين تنبأوا بفشل المؤتمر.. ولم يعد من الميسور أن يستمر الذين هاجموا باندونج في اتجاههم.. فإن العروض الجدية الصادقة لا تقاوم بالأعراض الكامل حتى لمجرد حفظ الشكل!

من أجل ذلك صدرت الصحف التي تعبر عن رأي للدوائر الغربية المعادية تحمل موجز القرارات، وتتحدث عن نجاح المؤتمر وتنوه بعروض شواين لاي.

وفي الحق أن نجاح مؤتمر باندونج كان خطوة تاريخية جبارة، دلَّت على وعي شعوب القارتين بالمسئوليات أمام الإنسانية.

لم يستطع أن يطعن في القرارات.. حتى أشد الأعداء ضراوة وهمجية.. إلا الصهيونيين!..

طعنت إسرائيل في القرارات.. وتزايدت حملاتها على جمال عبد الناصر، لأنه هو الذي اقترح ـ ووافقته الدول العربية ـ إبعاد إسرائيل، واستمرت الحملات البربرية على الحدود، وسالت دماء جديدة من مصر وسوريا والأردن..

وارتفع صوت راديو إسرائيل يكيل الهجوم والاتهامات لمصر وباندونج.

وحين يقول راديو إسرائيل شيئا، تردده في مصر ـ وفي مصر وحدها ـ بعض

الأبواق!! وهكذا لم تكد تعلن قرارات باندونج وترسل مصر أول وفد لزيارة الصين الشعبية؛ حتى هوجمت الحدود المصرية ونشطت إذاعة إسرائيل في تنديدها بمصر، وتوالى صدور نشراتسرية في مصر تستعير من الأسماء كل ما يثير الجلال في النفس، وتلوث بلا رحمة كل

الرايات التي تختفي تحتها راية بعد راية..!

ومضت هذه النشرات تطعن في حكومة مصر وسوريا وتمجد ميوعة موقف حكومة لبنان ـ إذ ذاك ـ وتهاجم الميثاق المصري السوري السعودي... وتطعن في حركة السلام..

وانبعث من وجدانها الهزيل المعقد كجسد العقرب شعر وتحليل وفحيح ضد الذين أيدوا باندونج.

* * *

أما القوى الشريفة في مصر والبلاد العربية فقد استقبلت قرارات باندونج في أمل وحماس.. ذلك أن باندونج هي بالقياس إلينا وإلى كل الشعوب الآسيوية وثبة تاريخية ومفرق طريق..

فلأول مرة تنسق مصر كفاحا مشتركا مباشرا مع شعوب يزيد تعدادها عن نصف سكان العالم للدفاع عن السيادة الوطنية، ولمنع التدخل الأجنبي في الشئون الداخلية والنهوض الاقتصادي والثقافي، ولتأمين وسائل التعايش السلمي.. لأول مرة تضع مصر يدها بشكل رسمي في يد أغلبية سكان العالم لمقاومة الاستفزاز والضغط.. لمقاومة قلة قليلة من الأجانب تحتكر موارد الثروة في آسيا وإفريقيا، وتحاول أن تقيم في أرضها القواعد العسكرية، وأن تسوق أهلها إلى المذبحة في موكب مشئوم تقرع طبوله الانفجارات الذرية.. لأول مرة تتحد سياسة مصر رسميا في طريق الاستقلال الكامل مع غيرها من السياسات الخارجية وفي طريق تدعيم سلام عالمي.. سلام للجميع.. سلام بلا ألوان.

إن باندونج بالقياس إلى مصر هو بلورة سياسة خارجية محايدة مستقلة.. هذه السياسة الخارجية تؤدي بالضرورة إلى سياسة داخلية تلائمها، سياسة تستلهم حماية الاستقلال.. وإرساء قواعد السيادة الوطنية والاندفاع في طريق الازدهار الاقتصادي والثقافي.. وإلى هذا أشارت مقدمة الدستور الجديد.. وهنا نقطة الانطلاق في كفالة حرية الفرد وحقوق الإنسان واحترام الكرامة البشرية لكل مواطن.

وعلى الذين يريدون أن يشاركوا في بناء وطننا.. وعلى الذين يزعمون لأنفسهم أن مستقبل هذا البلد يعنيهم.. عليهم جميعا ــ وأنا أعني الشرفاء بالطبع لا العملاء ــ أن يفهموا قرارات باندونج، وأن يؤمنوا بها عن يقين لا عن تورط.. عليهم جميعا ــ حتى هواة السياسة منهم ـ أن يبدأوا بناء وطن حر تتألق فيه حرية الفكر، مدركين ما لباندونج في حياة شعبونا من أثر.

إن باندونج بالقياس لنا مرحلة من مراحل التطور الاستقلالي والازدهار الاقتصادي والثقافي... وهذه هي الظروف الموضوعية التي يمكن أن تتوفر فيها حرية العمل وحرية الفكر وحرية التعبير..

من أجل هذا اندفعنا نحن الذين نحب الوطن والحياة والثقافة والسلام.. اندفعنا نحن الذين نريد أن نمارس الأشياء الطيبة في علاقاتنا.. اندفعنا تحت راية باندونج على أرض من الأشواك والصخور تستخفي الأفاعي والزواحف في منحنياتها.. بعضها سحقته الأقدام الراسخة.. وبعضها ما زال يقطع الطريق على كثير من الشرفاء.. وبعضها بقي في أجسادنا من سمومها جراح وجراح..

وكان عزاؤنا دائما أننا نسير إلى هدف واضح مع جبهة من معظم سكان العالم لا من آسيا وإفريقيا فحسب، بل من شعوب أوروبا وأمريكا أيضا..

ففي البرلمان السوري وقف نواب من أقصى اليمين ومن أقصى اليسار يحيون المعجزة التي تمت في باندونج.. خالد بكداش كتفًا إلى كتف المليونير السوري الذي يدافع عن صناعة وطنه.

وفي أوروبا نشرت مجلة السلام العالمي التي تعكس إرادة أكثر من ٢٠٠ مليون من الأمهات والآباء والشباب في سن التجنيد.. نشرت مقالاً طويلاً في عدد مايو سنة ١٩٥٥ تحدثت فيه عن الانتصارات السلمية التي حققها مؤتمر باندونج، وحيث الرؤساء الذين شاركوا في حماية المؤتمر من تخريب بعض العملاء، فقالت في ختام مقالها: "إن مؤتمر باندونج يمثل خطوة بالغة الأهمية في تاريخ العالم".

* * *

وفي مايو سنة ١٩٥٥ أصدرت مجلة الديمقراطية الجديدة عددا خاصا عن المؤتمر الآسيوي الإفريقي.. وهي مجلة يجب أن يحترمها الذين يزيفون الحقائق على شعوبنا ويستترون تحت راية حمراء.. هؤلاء الذين شوهوا باندونج ووجهوا كل قذارتهم للذين أيدوها، وبدأوا أخيرا يؤيدون باندونج ويحاولون تبني قراراته استعدادا لدور مشئوم آخر من التزييف والخديعة..

والديمقراطية الجديدة مجلة سياسية يرأس تحريرها جاك ديكلو، ومن أعضاء هيئة التحرير: تولياتي (إيطاليا)، ووليم فوستر (أمريكا)، وهاري بوليت، وبالم دات (إنجلترا)، ونائب رئيس مجلس وزراء رومانيا، ونائب رئيس مجلس وزراء هنغاريا..

أصدرت هذه المجلة عددا خاصا عن المؤتمر حيث فيه انعقاده وقراراته، وملأته بالتقدير للرؤساء الذين قاوموا كل محاولات إفشاله، وقدموا اقتراحات إيجابية ساعدت على الوصول إلى القرارات. وفي آخر العدد مقال طويل كتبه جاك ويكلو عنوانه "**عمل مجيد من أجل السلام**"، ناقش فيه محاولة تشويه المؤتمر، وكأنه يرد على الأكاذيب والحقارات التي تروجها القوى الاستعمارية، وينشرها العملاء بكل لسان.. بكل لغة.. بكل أسلوب..

.. قال ديكلو: "الاستعماريون يقومون بمناورات عديدة، وبأعمال عنيفة للاحتفاظ بقواعد الاستثمار الاستعماري وقواعد التحضير للحرب.. غير أن مؤتمر باندونج قد حدد بالفعل مرحلة هامة للأكاذيب الحمقاء التي تروجها القوى الاستعمارية. إن هذا المؤتمر يعتبر بالنسبة لنا حافزا مثيرا يلهب كفاحنا من أجل الاستقلال الوطني، ومن أجل السلام، ولمتابعة العمل

لمنع تنفيذ اتفاقيات باريس، ولتأييد سياسة التفاوض وجمع التوقيعات على نداء مجلس السلام العالمي بتدمير المخزون من الأسلحة الذرية ومنع صناعتها".

* * *

هذا هو ما يوحي به مؤتمر باندونج لرجل مثل ديكلو.. أما ما يوحي به الذين يزيفون راية ديكلو في مصر، فهو تمزيق نداء مجلس السلام العالمي، ومهاجمة المناضلين في سبيل السلام!!

ولعل أعمق صدى لمؤتمر باندونج كان في اجتماع الجمعية العامة لهلسنكي في يونيو سنة ١٩٥٥.. فقد استلهم هذا الاجتماع في كل قراراته روح باندونج وجنيف.. واعتبر مجلس السلام العالمي قرارات باندونج انتصارا للمبادئ التي ينادي بتحقيقها.. وفي كثير من اللجان الفرعية للجمعية العامة لهلسنكي صدرت توصيات بتشكيل اللجان الوطنية لحماية وتنفيذ قرارات باندونج كل فيما يخصه.

ولعل أروع تحية لباندونج هي تلك التي وجهها إيليا إهرنبرج، وكوموجو في اجتماع الجمعية العامة لقوى السلام بهلسنكي في يونيو سنة ١٩٥٥.

قال إهرنبرج الكاتب السوفيتي الكبير: "لا ريب أن المبادئ التي قررت في باندونج هي وثبة في عصرنا، وكلنا نعرف الجهود التي بذلت هناك من أجل السلام.. وإني لأسال مندوبو الدول الأوروبية التي تشترك في جمعيتنا هذه.. أن نكون نحن الأوروبيين عاجزين حقًّا عن الوصول إلى اتفاق فيما بيننا، كهذا الاتفاق الذي وصلت إليه دول آسيا وإفريقيا!

ما هو بالتحديد هذا الشيء الذي يمنعنا من الاتفاق؟ أهو اختلاف الآراء أم تباين وجهات النظر؟ ومع ذلك فقد وصل مندوبو الصين إلى اتفاق مع مندوبين من الباكستان والفلبين، واتفق مندوبو الفيتنام مع مندوبي لاوس.. أيمكن أن يكون المانع إذن هو أننا نحب أوروبا أقل مما يحبون هم آسيا وإفريقيا؟ إلا أننا لا أومن بهذا!"

وقال كوموجو نائب رئيس مجلس السلام العالمي ورئيس جماعة الكُتاب الصينيين: "تساءل وزير الخارجية السوفيتية لماذا لا تصبح مبادئ نهرو شواين لاي الخمسة أسسا عامة للتعاون بين جميع الدول.. إن مؤتمر باندونج هو الرد الإيجابي على هذا السؤال، وقد صرح بولجانين في ١٢ يونيو أن الحكومة السوفيتية تؤيد المبادئ العشرة التي قررها مؤتمر باندونج، وتؤمن أنها هي قواعد التعايش السلمي وتدعيم قضية السلام.

ونحن نثق أن قرارات مؤتمر باندونج التي عكست أماني الشعوب الآسيوية والإفريقية واحتياجاتها؛ إنما تعكس أيضا أماني واحتياجات كل الشعوب المحبة السلام في جميع أنحاء الدنيا، إننا نؤمن أن كل شعوب العالم ستتبنى قرارات باندونج".

ومن يوم أن عقد مؤتمر باندونج من عام كامل. عام كامل برزت فيه مصر وإندونيسيا والهند وبروما أمام العالم كله متحررة من النفوذ الاستعماري أبية، ترفض كل أشكال التدخل الأجنبي وتمسك موازين السلام..

خلال عام كامل تقدمت العلاقات الدولية خطوات كثيرة في طريق التعاون، وخفت حدة التوتر الدولي.

خلال عام كامل حقق التبادل التجاري والثقافي نتائج لم يحققها من قبل طوال سنوات ما قبل الحرب.

والبلاد الآسيوية والإفريقية التي تحتاج إلى المعونة الفنية والمالية من الدول المتقدمة صناعيًا، ظلت تعاني في كل محاولات النهوض الاقتصادي من التعقيدات والشروط المجحفة التي تجعل من المساعدات المالية والفنية أغلالاً تثقل النهضة السياسية، وتكبل الاستقلال الاقتصادي والثقافي..

غير أن مؤتمر باندونج قلَب مقاييس الأمور ووضع دساتير جديدة لبلادنا..

ولئن كنا نرى المساعدات الفنية والمالية تتوالى على الدول الآسيوية والإفريقية بلا قيد أو شرط، فالفضل في ذلك يرجع إلى باندونج.. إن روح باندونج هي التي شجعت كثيرا من الحكومات على رفض المساعدات المشروطة، وشجعت كثيرا من الحكومات على قبول المساعدات الحرة بصرف النظر عن نظام الحكم في الدولة التي تعرض المساعدة.

ولئن كانت مصر قد بدأت تتلقى لأول مرة عروضا غير مشروطة من الغرب؛ فإنما يرجع ذلك إلى تطورها الاستقلالي وإلى استلهامها روح باندونج، وتمسكها بقرارات المؤتمر، كما يرجع إلى المساعدات والعروض غير المشروطة التي تقدمها بشكل إيجابي دول وشعوب صديقة كالاتحاد السوفيتي والصين ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا والهند وهنغاريا.. كما يرجع إلى السياسة الخارجية المستقلة التي تنهجها مصر، مؤيدة بشكل قوي السلام في العالم، وبإرادة مئات الملايين الذين صنعوا باندونج!

* * *

ولعل من آثار باندونج في تجارتنا الخارجية هذا التزايد الملحوظ في الصادر من قطننا إلى البلاد الآسيوية، وإلى البلاد التي كان التدخل الأجنبي يحاول أن يعزلنا عنها.. ففي سنة ١٩٥٦ بلغ مجموع الصادر من قطننا إلى هذه البلاد أكثر من ٤٥ % بينما لم تستورد الولايات المتحدة ودول غرب أوروبا أكثر من ٢٥ %.

وميزان التجارة المصرية مدين لدول أوروبا والولايات المتحدة بنحو ٥٠ مليونًا من الجنيهات نتيجة سياسة التضييق في استيراد البضائع والمنتجات المصرية، بينما اتسعت

الفرصة بالنسبة للبلاد المشتركة في باندونج والدول الصديقة الأخرى، فأصبحت مصر دائنة بنحو ٥٢ مليونًا من الجنيهات.

ولعل من أهم آثار باندونج في حياتنا التجارية هي هذه الصفقات التي تعقدها مصر تأكيدا لتطورها الاستقلالي؛ مثل صفقة الأسلحة وصفقات القمح والقطن والحديد، والاتفاقات التجارية الطويلة المدى مع الصين الشعبية.

صفقة القطن بعشرة ملايين من الجنيهات هذا العام وحده. ثم

هذه الأشكال المتعددة للتبادل الثقافي بيننا وبين بلاد كثيرة؛ كان مجرد ذكر اسمها فيما مضى مبررا كافيا للاتهام.. هذه الوفود الثقافية التي تأتي من الصين والاتحاد السوفيتي ورومانيا وبولونيا، والفِر ق الموسيقية المتعددة، والدعوات الموجهة إلى أطبائنا وعلمائنا والصحفيين والأدباء والفنانين والسياسيين.. والعروض الإيجابية في تبادل نقل الآداب.... وكل مظاهر احترام الإنتاج الإنساني، وتبادل الخبرة والفنون على أساس المزايا المتكافئة. كل هذه الأشكال العديدة التي عرفتها مصر فيما بعد باندونج، وعرفت من خلالها آداب أمم أخرى وفنونها، وحرص هذه الأمم على التعرف على آدابنا وفنوننا وتراثنا.. كل هذه الأشياء الباهرة التي تغرس حب شعبنا في أعماق الشعوب الأخرى، وتملأ أعماقنا بخفقة من حب الآخرين.. كل أولئك إنما هو بعض ثمرات باندونج.. بعض ثمرات سياسة الحياد والاستقلال والحرص على التعايش السلمي التي تنتهجها حكومتنا المصرية باسم شعبنا، وباسم إرادة الشعوب التي صنعت باندونج، وأعلنت كلمة المستقبل في وجه القوى المنهارة.

* * *

إن مصر قد اختارت نهائيًا أن تقف في معسكر السلام وأصبحت هي نفسها من أهم قوى السلام في العالم.. أصبحت القوة السلمية الإيجابية القائدة في الشرق العربي..

إن باندونج التي أصبحت ركيزة لكل قوى السلام في العالم قد تحولت في مصر إلى أكثر من ذلك.. إنها توشك أن تختلط باللحم والدم من كيان سياستنا.. لا الخارجية وحدها.. بل سياستنا الداخلية أيضا.. وآية ذلك أن الدستور المصري حين أُعلن على الناس.. أعلن باسم:

نحن الشعب المصري:

الذي انتزع حقه في الحرية والحياة، بعد معركة متصلة ضد السيطرة المعتدية من الخارج والسيطرة المستغلة من الداخل.

نحن الشعب المصري:

الذي استلهم العظة من ماضيه، واستمد العزم من حاضره فرسم معالم الطريق إلى مستقبل:

- متحرر من الخوف.
- متحرر من الحاجة
- متحرر من الذل.

يبني فيه بعمله الإيجابي وبكل طاقته وإمكانياته مجتمعا تسوده الرفاهية ويتم له في ظلاله:

- القضاء على الاستعمار وأعوانه.
- القضاء على الإقطاع.
- القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم.
- إقامة جيش وطني قوي.
- إقامة عدالة اجتماعية.
- إقامة حياة ديموقراطية سليمة

نحن الشعب المصري:

- الذي يؤمن بأن:
- لكل فرد حقًّا في يومه.
- ولكل فرد حقًّا في غده.
- ولكل فرد حقًّا في عقيدته.
- ولكل فرد حقًّا في فكرته.
- حقوقًا لا سلطان عليها أبدا لغير العقل والضمير.

نحن الشعب المصري:

- الذي يقدس الكرامة والعدالة والمساواة باعتبارها جذورا أصلية للحرية والسلام.

نحن الشعب المصري:

- الذي يشعر بوجوده متفاعلاً في الكيان العربي الكبير، ويقدر مسئولياته والتزاماته حيال النضال العربي المشترك لعزة الأمة العربية ومجدها.

نحن الشعب المصري:

- الذي يعرف مكانه على ملتقى القارات والبحار من هذا العالم، ويقدر تبعات رسالته التاريخية في بناء الحضارة، ويؤمن بالإنسانية كلها ويوقن بأن الرخاء لا يتجزأ، وأن السلام لا يتجزأ.

نحن الشعب المصري:

بحق هذا كله.. ومن أجل هذا كله..

- نرسي هذه القواعد والأسس دستورا ينظم جهادنا ويصونه، ونعلن اليوم هذا الدستور، فتنبثق أحكامه من صميم كفاحنا.. ومن خلاصة تجاربنا، ومن المعاني المقدسة التي هتفت بها جموعنا، ومن القيم الخالدة التي سقط دفاعا عنها شهداؤنا، ومن أحلام المعارك التي خاضها آباؤنا وأجدادنا جيلاً بعد جيل..

* * *

ومن أوضح الدلائل على أن قرارات باندونج أصبحت حقيقة حية، وقوة فعالة في سياسة الدول الداخلية والخارجية على حدٍّ سواء.. ما جاء في خطب رؤساء الدول بمناسبة مرور عام على انعقاد هذا المؤتمر التاريخي.

جاء في الكلمة التي أذاعها الرئيس جمال عبد الناصر:

"وإن مصر لفخورة بالدور الذي قامت به في باندونج، فخورة بدورها في التمهيد للمؤتمر وإعداد جداول أعماله.. فخورة بدورها بعد انتهاء المؤتمر.. فقد التزمت روحه وسارت على طريقه.. ولم تدع فرصة إلا أظهرت فيها إيمانها العميق بمبادئ باندونج وقراراته وجاهدت لكي تصبح هذه القيم كلها أساسا للسلام وللحرية..

وإنه لمما يبعث على الرضا والأمل أن اسم باندونج تردد علما على هذه القيم في كل ما عقد بعد مؤتمرها من اجتماعات بين أقطاب وساسة، وما أصدروه إلى أممهم وشعوبهم من بيانات ونداءات.

كذلك وضحت أهمية باندونج في مجال الأمم المتحدة، وأصبحت دولها تمثل قوة عاملة على ترجيح كفة السلام..

كما كانت باندونج أخيرا مصدر الوحي في عدد كبير من المعاهدات التجارية والثقافية.. تربط ما كاد أن ينقطع من صلات مادية وروحية، وتقرب ما بين الشعوب بتبادل النفع وإشعاع المعرفة"..

وجاء في ختام كلمته:

لقاء جديد:

"وأخيرا فها نحن اليوم نتحدث عن باندونج ونعود بأفكارنا إلى أيامها.

نعود إليها ونحن نحتفل بيوم باندونج مع شعوب إفريقيا وآسيا. نعود إليها ونحن نتطلع إلى لقاء جديد"

أما الرئيس الإندونيسي فقد جاء في رسالته:

"إن الشعوب الآسيوية والإفريقية تحتل اليوم مركزا أقوى. وإن مؤتمر باندونج قد زاد من مكانتها وهيبتها".

أما في بورما فقد أعلن السيد كياونامين عضو الحكومة والسكرتير العام للحزب الاشتراكي"

"إن مؤتمر باندونج تناول مشكلات الاستعمار والتنمية الاقتصادية، وقد نوقشت هذه الموضوعات بصفة عملية لا عاطفية".

"وختم تصريحه بقوله:

"إن مؤتمر باندونج كان رمزا لبعث آسيا وإفريقيا إلى الوجود من جديد.."

وجاء في المذكرة الأخيرة لحكومة الاتحاد السوفيتي بخصوص مشكلات الشرق الأوسط:

"وإذا كانت مبادئ احترام استقلال الدول وسيادتها وعدم التدخل في شئونها الداخلية، وحل المنازعات الدولية بالطرق السلمية.. كلها متضمنة في ميثاق الأمم المتحدة.. فإن الاتحاد السوفيتي الذي يؤيد هذه المبادئ تأييدا كاملا، يؤيد كذلك بكل إخلاص وصدق محاولات الدول العربية للمحافظة على استقلالها الذي حصلت عليه أخيرا، وعلى رفع مستواها الاقتصادي وتوطيده.

وإن الاتحاد السوفيتي ليرى في توطيد استقلال دول الشرق الأوسط واطراد تقدمها ضمانًا هاما للسلام والأمن في هذه المنطقة..

وفي الوقت نفسه تعلن الحكومة السوفيتية بأنها لم تحاول أن تحتفظ لنفسها بأي منفعة خاصة، وأنها تحاول أن تبني علاقتها مع دول هذه المنطقة على نفس الأسس التي أعلنتها الشعوب الآسيوية والإفريقية في مؤتمر باندونج".

* * *

فإلى الذين لم يدركوا حتى اليوم أن الدفاع عن السلام العالمي ضرورة تنبثق من تطورنا، ومن ضمير العصر، ومسئولية يفرضها شرفهم الإنساني.. إليهم كتبت هذه الكلمات تعبيرا عن أمل بسطاء الناس في سلام دائم.